Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (9) : 30 Sep 2019
P: 114 - 138
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (9) : 30 سبتمبر 2019 م
ص: 114 - 138

Discourse Analysis of journalistic discourse: The Approach to Critical discourse analysis of speech in the Saudi Press

Tahini Sahel Alotebi
Faculty of Arts || King Saud University || Riyadh || KSA

Abstract: This study, which entitled "Discourse Analysis of journalistic discourse: The Approach to Critical discourse analysis of speech in the Saudi Press", comes in the context of investing discourse analysis through its critical linguistic approach to the approach of the texts of the Saudi newspapers through different press types. In addressing the problem of research, the study adopted the method used by (Fairclough, N) for his critical approach to speech analysis, considering that this approach considers the press discourse to be the media activity that reflects the general view of the community structure and the outcome of this historical, political and cultural society. The importance of the study is to link linguistic analysis with social analysis, through language analysis as it relates to the social context in which it is used and the social conditions surrounding its use. This study aims at revealing the levels of journalistic analysis in the Saudi newspapers, based on the three-level approach: analysis at the textual level, the level of discursive (rhetorical) practices, and the level of social practices. The textual level includes: the detection of the linguistic choices underlying the naming and referral strategy, the coping strategy, and the strategy of adaptation and necessity, and in rhetorical practices, ie, the production, distribution and consumption of text, including the study of linguistic style. As well as addressing the issue of compatibility within and outside the text in the press. Social practices include the study of the external influences that make up the production and consumption of the press in examining the practices of the three types of newspapers: in terms of their economic, political and ideological practices. The results of this study reveal the effect of textual tools on the identification of the explicit and implicit meanings conveyed by these words and the selected structures. In the rhetorical practices, it reveals the external influences that formed the production and consumption of the news, and also formed and formulated the production and consumption of other texts. It has revealed the relationship of social media practices in their ideological, economic and political practices to one another in dealing with the issues of society.

Keywords: discourse - discourse analysis - journalistic discourse - critical discourse analysis of speech.

تحليل الخطاب الصحفي: مقاربة التحليل النقدي للخطاب في الصحف السعودية

تهاني سهل العتيبي
كلية الآداب || جامعة الملك سعود || الرياض || المملكة العربية السعودية

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب الصحفي في الصحف السعودية؛ وفقاً لمقاربة التحليل النقدي للخطاب في نصوص الصحف السعودية عبر الأنواع الصحفية المختلفة. وفي معالجة إشكالية البحث تبنت الدراسة الطريقة التي يستعملها "فيركلوف Fairclough, N" لمنهجه النقدي في تحليل الخطاب، اعتبارًا من أن هذا النهج ينظر للخطاب الصحفي بأنه ذلك النشاط الإعلامي الذي يعكس الرؤية العامة للبنية المجتمعية، وحصيلة معطيات هذا المجتمع التاريخية والسياسية والثقافية التي أُنتجت فيها. وتكمن أهمية الدراسة بربط التحليل اللغوي بالتحليل الاجتماعي، من خلال تحليل اللغة من حيث علاقتها بالسياق الاجتماعي التي تُستعمَل فيه والظروف الاجتماعية التي تحيط باستعمالها. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مستويات التحليل الصحفي في الصحف السعودية،

اعتمادًا على المقاربة بثلاثة مستويات: التحليل على المستوى النصي، وعلى مستوى الممارسات الخطابية، ومستوى الممارسات الاجتماعية. ويتضمّن المستوى النصي: الكشف عن الاختيارات اللسانية التي تتأسس عليها استراتيجية التسمية والإحالة، والاستراتيجية الحمليّة، واستراتيجية التعدية واللزوم. وفي الممارسات الخطابية، أي: إنتاج النص، وتوزيعه واستهلاكه، فتتضمّن دراسة الأسلوب اللغوي. ومعالجة مسألة التناص داخل النصوص الصحفية وخارجها. وتتضمّن الممارسات الاجتماعية دراسة المؤثرات الخارجية التي تشكل إنتاج النص الصحفي واستهلاكه بدراسة ممارسات الصحف بأنواعها الثلاثة: من حيث ممارساتها الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية. وتكشف نتائج هذه الدراسة عن أثر الأدوات النصية عند تبيين المعاني الظاهرة والضمنية التي تنقلها تلك الكلمات والتراكيب المختارة. وتكشف في الممارسات الخطابية عن المؤثرات الخارجية التي شكلّت إنتاج الخبر واستهلاكه، وشكّلت وصاغت إنتاج النصوص الأخرى واستهلاكها. وقد كشفت عن علاقة الممارسات الاجتماعية الصحفية في ممارساتها الإيديولوجية والاقتصادية والسياسية بين بعضها بعضًا في تناول موضوعات المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب-تحليل الخطاب-الخطاب الصحفي-التحليل النقدي للخطاب.

مقدمة.

تستجيب بيئة الصحافة للتحولات الاجتماعية التي تحدثها المجتمعات، فتوظف الإمكانات البشرية والمادية لتبني فكرتها ومن ثم محاولة ترويجها، وهي تهتم بصناعة الخطاب عبر تلك الإمكانات محاوِلةً إقناع متلقيها بوجهة نظر صُناع الخطاب والاستحواذ على أذهانهم، ومن ثَمَّ تعكس آراء الناس وقضاياهم الاجتماعية التي تؤثر في إنتاج النصوص وتفسيرها، فالناس عند بحثهم عن المعلومات والمعارف وعن أحداث الواقع التي يعيشونها ومع مواكبة أحداثها، كثيرًا ما يلجؤون إلى الصحف، فالمبدأ الذي تتخذه الصحافة في هذا الشأن هو نشرها للمعلومات وإتاحتها للناس.

وبالنظر إلى الواقع فإنه من الصعب أن تتخذ صحيفة ما موقفًا محايدًا عند تبنيّها أحداثًا وشخصيات معينة، لكن ما تسعى إليه هو محاولة تحري العدالة ومُجانبة إضفاء الأحكام الشخصية على نقل الأحداث بل ترك الحقيقة هي ما تعبر عن الواقع قدر الإمكان. وفي المقابل قد تتبنى الصحافة المساس بقضايا المجموعات المهمشة وتحسين أوضاعهم، والبحث عن تطلعاتهم وآمالهم؛ يتم ذلك من خلال استعمال اللغة استعمالًا يعتمد على توظيف بعض الأدوات، والسعي من خلالها إلى فهم سليم لكيفية عمل اللغة في تكوين المعرفة ونقلها، وتنظيم المؤسسات الاجتماعية أو ممارسة السلطة، وبذلك فإنَّ النظريات النقدية الخاصة بالتحليل النقدي للخطاب تروم إلى زيادة وتوسيع المعرفة النقدية حتى يتمكن البشر من تحرير أنفسهم من نماذج الهيمنة، ولهذا تعمل على نمو التنوير والتحرير، ومثل هذه النظريات لا تسعى فقط إلى الوصف والشرح، ولكن- أيضًا- إلى القضاء على كل ما يتعلق بالوهم، وحتى مع اختلاف المفاهيم الإيديولوجية، فإن النظرية النقدية تسعى إلى خلق الوعي لدينا باحتياجاتنا ومصالحنا الخاصة[1].

ولقد اعتمد "فيركلوف" في مقاربته الجدلية ومعالجته للنصوص الإعلامية على ثلاثة مستويات: على مستوى النص أو التحليل اللساني، والممارسات الخطابية، والممارسات الاجتماعية، فيرى أن التحليل اللساني يجب أن يكون جزءًا من تحليل خطاب وسائل الإعلام ولا يكون هو السبيل الوحيد للتحليل؛ لأن هذا النوع من التحليل يعتني بالنصوص في معناها الواسع (برامج شفوية، مقالات مكتوبة)، بينما يعتني التحليل النقدي للخطاب بالممارسات الخطابية والاجتماعية الثقافية مثلما يعتني بالنصوص، فيتبنى في الممارسات الخطابية بيان الطرق التي تُنتج بها

(1) فودالك، ر. ماير، م. (2014). مناهج التحليل النقدي للخطاب. ت: حسام فرج، عزة محمد. المركز القومي للترجمة. القاهرة، ص 28، 29.

النصوص من قبل العاملين في وسائل الإعلام في إطار المؤسسات الإعلامية، والطرق التي تتقبَّل بها النصوص من لدن الجمهور (القرَّاء والمستمعين والمشاهدين) وكذلك الطرق التي تُوزع بها النصوص الإعلامية على الصعيد الاجتماعي[2]. ويمكن أن نضع ضمن طرق إنتاج الخطاب وطرق تأويله ما يسميه "فيركلوف" (مستويات الممارسة الاجتماعية الثقافية) التي يعدها أجزاء من سياق الممارسة الخطابية. وهو يرى أنه من المفيد التمييز بين المستوى المقامي والمستوى المؤسسي والاجتماعي، أي: المجريات الاجتماعية المخصوصة التي يُعد الخطاب جزءًا منها، والإطار أو الأطر المؤسسية التي يظهر فيها الخطاب، وسلسلة الخطاب الاجتماعية الواسعة. وبهذا يمكن عد تحليل الخطاب إبراز الصلات النسقية بين النصوص والممارسات الخطابية والممارسات الاجتماعية الثقافية[3].

مستويات تحليل الخطاب الصحفي.

سنصوغ منهج التحليل النقدي للخطاب الصحفي اعتمادًا على ما وصل إليه الباحث "ريتشاردسون"[4] في دراسته للخطاب من ناحية خصائصه النصية والخطابية والاجتماعية، وكذلك التحليل الاجتماعي الخطابي المركز الذي يطالب الاعتراف بالتفاعل والعلاقة المتداخلة بين الممارسات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية ووضعها في الصدارة، معتمدًا في دراسته للخطاب الصحفي بمنهج "فيركلوف". ويعتمد هذا البحث في جانبه التطبيقي على نماذج من الصحف السعودية من دون تحديد فترة زمنية محددة، بل بالاستناد على الاختيار العشوائي في الصحف السعودية، وسيكون النصيب الأكبر في إيراد الأمثلة للصحف المطبوعة؛ لأنَّ «الصحافة المطبوعة تقدم نوعية من المعلومات الأفضل والأرقى من تلك المعلومات التي تقدمها الوسائل الاتصالية الجديدة»[5]؛ وبناءً عليه؛ تتجه الاختيارات العشوائية بالتركيز على الصحف المطبوعة المتنوعة المناطق؛ كصحيفة (الرياض والجزيرة) الصادرتين في العاصمة الرياض، و(عكاظ) الصادرة من جدة، و(اليوم) بالدمام، وصحيفة (المدينة) الصادرة من المدينة المنورة، وصحيفة (مكة) الصادرة من مكة المكرمة، وصحيفة (الوطن) الصادرة من أبها، إضافة إلى صحيفتي (الشرق الأوسط) و(الحياة) لكونهما صحيفتين سعوديتين تمويلًا وتوجّهًا رغم صدورهما بترخيص من الخارج ويُنظر إلى كل منهما على أنهما (صحيفة العرب الدولية). وتتمثَّل دراسة النماذج من مختلف الأنواع الصحفية، من نصوص الأخبار، والتقارير والتحقيقات إن وُجدت مع بعض المقالات.

1- المستوى النصي.

تتطلَّب دراسة الخطاب دراسته على مستوى النص وليس لذات النص نفسه، فمن المعروف أن رؤية "فيركلوف" تبتعد عن التحليل اللغوي الشكلي البعيد عن السياق الاجتماعي[6] عند تحليل النصوص، الذي يقصد به التحليل الذي لا يقيم أي اعتبار للسياق الاجتماعي للغة. إلا أنه يرى أنها لا تقدم تصورًا شاملًا عن الخطابات التي يقع فيها التحليل، ولكنه يضيء جانبًا منها، فيعكف المستوى النصي ابتداءً على تناول معجم الخطاب، المتمثِّلة في اختيارات المعاني في ذات الكلمات، إلى القدرة في استعمال الأدوات اللغوية استعمالًا يقوم على تفسير القيم المرجعيّة للمتكلم وبيان أهدافه. فاختيار الكلمات المستعملة في خطاب الصحف تنم عن تمثيل القيم والمميزات التي تسمي

---

(2) Fairclough, N. (1995). Media discourse. Hardcover Arnold. P 16.

(3) السابق، ص 16، 17.

(4) Richardson, J. E. (2006). Analysing newspapers: An approach from critical discourse analysis. Palgrave Macmillan.

(5) صالح، سليمان. (2003) حقوق الصحفيين في الوطن العربي. ط1. دار النشر للجامعات. مصر، ص 244.

(6) Fairclough, N. (1995), P 16.

(الفاعلين والأحداث). فتلك الاختيارات الخاصَّة التي تنقل بصمة مجتمع ما وتحمل أحكامها القيمية وإيحاءات معانيها الضمنية والصريحة متضمِّنة في الأسماء والأفعال والصفات، فهي ماثلة في استراتيجيات الفاعلين بنوعيها (*التسمية والإحالة*)، (*الحمليَّة والضمير*). إلى جانب أنَّ هناك استراتيجيات تُمثل البنى الجملية التي تعكس نظرة المتكلم للأحداث والوقائع وتصوّر رأيه وموقفه من هذه الأحداث، فهي ماثلة في استراتيجيات الأحداث، ومتعلقة ببنية الجملة، منها مسألة (*التعدية واللزوم*).

1-1 التسمية والإحالة:

يمكن أن يكون للطريقة التي يُسمَّى بها الناس في خطابٍ ما، بالغ الأثر في طريقة الفهم والتأويل وفي الطريقة التي يُنظر بها إليهم[7]، فالجميع يملك مجموعة من السمات والهويَّات والأدوار المتزامنة التي يمكن أن تستعمل لوصفهم بدقّة ولكن ليس بالمعنى نفسه في كل مرّة، فالطريقة التي يسمَّى بها الفاعلون الاجتماعيون، أو الأفراد والمجموعات لا تعرِّفهم وتدلُّ عليهم فحسب، وإنما يمكن –أيضًا- أن تعبِّر عن نوع العلاقة بين المتكلِّم/ الكاتب والمسمَّى[8]، وفي السياق يقول "بلومارت": «بغضّ النظر عن المعنى الإحالي تُنتج عباراتُ التواصل معنى ملحقًا، معنى اجتماعيًا وموجّهات تأويلية بين ما يُقال والظرف الاجتماعي الذي قيل فيه»[9]، فكلمة مثل (دكتور) حتى لو لم يكن في منصب دكتور، أو كلمة (يا شيخ) فإنها «لا تحيل فحسب على فرد ذكر وإنما تُلحِق به منزلة اجتماعية خاصة، وكذلك دورُ علاقات الاحترام والتقدير المتضمّنَة في هذه المنزلة»[10]، والقارئ أو المستمع يمكن أن يكون مثلًا في وقت واحد ذكرًا وطالبًا ومناضلًا سياسيًا وسائق أجرة ليليًّا ومسلمًا وشاعرًا... ولكن على مخاطبه أو المتحدّث عنه أن يختار بحسب ما يريد إبلاغه وبحسب ما تقتضيه الوضعيّة أو الحادثة التي هو بصدد الكلام عنها التي تشمل المخاطب، فالتسمية تتضمن دائمًا اختيارًا[11]. وعليه، يختار الصحفيون والكتَّاب تصنيفًا اجتماعيًا –من بين تصنيفات كثيرة متاحة- للحديث عن الناس، واختيارهم لبديل دون غيره يجعلهم يدرجون الناس في تصنيف ويقصونهم من تصنيفات أخرى مغايرة، وقد سمَّى "رايسيغل ووداك" إمكانات التسمية هذه (بالاستراتيجيَّات الإحاليَّة للنص)، وهذا الاختيار يمكن أن يخدم أغراضًا أو عددًا من الأغراض المختلفة منها النفسية والاجتماعية والسياسية.. تتصل بالمتكلمين أو الكتَّاب[12].

وفي هذا النموذج تبين فيه مدى عمق النظرة لدى المجتمع تجاه المرأة بطريقتها الإحالية:

«هروب غامض لطالبتين جامعيتين إلى كوريا!»[13].

كثير مثل تلك القضايا المشابهة التي تبني صورة ذهنية سلبية عن وضع المرأة في مجتمعاتنا، ليس فقط من خلال إبراز ما تعيشه المرأة داخل أسرهن من حياة شقية مرغمات على الارتحال للبحث عمَّا هو أفضل لهن، ولكن من خلال تعقبهن والإصرار على القبض عليهن بوصفهن مرتكبات جرائم، وإرغامهن للعودة للحياة التي هن أصلًا ارتحلن عنها بسببها، علاوة على قصور المؤسسات الاجتماعية بحل المشكلة واحتوائها، فنجد مثل ذلك الصدى

---

(7) Richardson, J. E. (2006), P 49.

(8) عبيدي، منية. (2016). التحليل النقدي للخطاب: نماذج من الخطاب الإعلامي. ط1. كنوز المعرفة. عمَّان، ص 201.

(9) Blommaert, Jan. (2005). Discourse. Cambridge University Press, P 11.

(10) السابق، ص 11.

(11) عبيدي، منية. (2016)، ص 201.

(12) Reisigl, M., & Wodak, R. (2001). Discourse and discrimination: Rhetorics of racism and antisemitism. Routledge, P47.

(13) صحيفة عكاظ. (2016 أكتوبر 8). هروب غامض لطالبتين جامعيتين إلى كوريا.

المجتمعي انعكاسًا لما تبديه الصحف، وما تلقيه مزيدًا من توالي مثل تلك التسميات في القضايا المشابهة باستعمال استراتيجية إحالية تُطلِق على هجرة المرأة بالهروب، بينما الإحالة للرجل في الظروف ذاتها تستعمل الصحف عبارة (الهجرة) في مكانها التي ينبغي أن تكون فيه عند وصف المرأة كذلك، كمثل:

«هجرة مليون سعودي تقلق «الشورى»[14].

2-1 الحمليَّة والضمير:

تحتفظ الاستراتيجيات المرجعية ببصمة أحكام القيمة، واختيار الكلمات المستعملة في الخطاب السياسي أو في خطاب الصحافة هدفه تمثيل القيم والمميّزات التي تطلق على الفاعلين، ويسمّي "رايسغل ووداك" هذه الأوصاف (بالاستراتيجيات الحمليَّة للنصوص)، والتمشي المتبع في ذلك النتيجة الأساسية لإسناد الصفات لسانيًا (لغويًا) للأشخاص والحيوانات والأشياء والأحداث والأعمال والظواهر الاجتماعية[15]. ويضيف "راسيغل ووداك" مفسريْن ذلك بأن يخصص الأشخاص ويميَّزون «بحسب الكم والجودة والفضاء والزمان، وقس على هذا [...]» [16]. وتتحقق الاستراتيجيات الحمليَّة أساسًا –من بين أمور أخرى- بواسطة «أشكال مخصَّصة من الإحالة (قائمة على الإشارة الواضحة وكذلك على الإيحاء الضمني بهذا القدر أو ذاك) وبواسطة الصفات في شكل نعوت وبدائل (جمع بدل)، وأشباه جمل، وجمل الصلات، وبواسطة المحمولات أو الأسماء الحمليَّة، والصفات، والضمائر الحمليَّة، وبواسطة المتلازمات، أو المقارنات، والتشبيهات، والاستعارات الصريحة، وأساليب بلاغية أخرى [...]، وبواسطة التوريات والتداعيَّات الضمنية، والاقتضاءات، والاستلزامات»[17].

المثال الأول: في صحيفة عكاظ يتجَّلى هذا الخبر:

(اتهمت سيدة سائقها بالاعتداء عليها في منطقة مهجورة بعد تهديدها بالسلاح وإقفال أبواب السيارة) وسارعت الجهات المختصة بنفي الخبر متبوعًا بهذا التوضيح (وطبقًا للمعلومات فإن الشرطة تولت التحقيق المبدئي في الواقعة قبل أن تحيل الملف إلى هيئة التحقيق، فيما استمعت جهات الاختصاص إلى حقيقة (مزاعم) السيدة، وسائقها (المتهم) بالاغتصاب). وأمسكت شرطة منطقة المدينة المنورة عن التفاصيل، لكن السيدة أفصحت لـ(عكاظ) عن تفاصيل ما تعرضت له، وأن أسرتها اتفقت مع المتهم للعمل كسائق خاص مقابل 800 ريال شهريًا، واستمر في مهمته بعد أن وثقت فيه الأسرة، وظل يتولى مهمة نقلها إلى مقر عملها حتى حصول الحادث..»[18].

لو علمنا أن هذا الخبر أو هذه القصة قد اخُتلقت بعد فشل حملة المطالبات للسماح بقيادة المرأة، إبان ثورات الربيع العربي وُحدد يوم 17 يونيو 2011 تقود فيه النساء سياراتهن لقضاء حوائجهن، وسميت الحملة "سأقود سيارتي بنفسي". فبدايةً بدأت الصحيفة باستعمال ألفاظ التلميع، تلميع صورة سائق الأسرة الموثوق به الذي أحضره الولي وأنه لا خوف منه، و(سائقها) يثق به المجتمع ثقة تامة به، فقد نتجت عن هذه الثقة في (سائقها) - بإلحاق ضمير حملي (الهاء) في الاسم (سائق)- بأن يعتدي على المرأة. ففي هذه الحالة معنى يتوجه إلى المهتمين بهذا الأمر مفاده: السماح بالقيادة للمرأة حالًا، وهذا أمر لا يحتمل التأجيل.

---

(14) صحيفة الحياة. (2016 فبراير 20). هجرة مليون سعودي تقلق «الشورى».

(15) Reisigl, M., & Wodak, R. (2001), P 54.

(16) السابق، ص 54.

(17) السابق، ص 54.

(18) صحيفة عكاظ. (2011 مايو 31). سيدة أعمال تتهم سائقها باغتصابها والأمن يتحرى الحقيقة.

المثال الثاني:

«خليجية شجاعة تنقذ سائقًا من الموت احتراقًا بعباءتها»[19].

حُمِّلت التسمية (خليجية) دون غيرها بهذا المثال الحي البطولي، واختيرت تلك العبارة الحملية عقب السماح بمزاولة القيادة للمرأة السعودية اقتداءً بنظيراتهن من الخليجيات، ولا تنس الصحيفة أن تتخير معنى جليلًا في وصف المرأة بالشجاعة، على الرغم من أن مضمون الخبر لم تكن المرأة خليجية، بل من دولة آسيوية مقيمة في إحدى دول الخليج المجاورة للسعودية: الإمارات، وهذا من شأنه أن يزيد من تهوين الأمر، ويؤكد معنى تأييد الصحيفة وتشجيعها للقيام بها، ومنها تروم إلى محاولة تمكين مشروعية قيادة المرأة في أذهان المجتمع.

3-1 التعدية واللزوم:

ارتبط مفهوم التعدية بدراسات "مايكل هاليداي" في ميدان اللغويات المنهجية منذ أواخر الستينيات فصاعدا. فالتعدية عنده هي "مجموعة من الخيارات التي يستطيع من خلالها ترميز تجربته مع عملية العالم الخارجي، بل ومع العالم الداخلي في ميدان الوعي والشعور، جنبًا إلى جنب مع المشاركين في هذه العمليات والظروف المصاحبة لها: وهي لهذا تجسد تمييزًا جوهريًا بين العمليات، حيث تحصرهما في نوعين، تلك العمليات يتطلبها سبب خارجي، ويشير هذا السبب إلى فاعل آخر غير الشخص المشارك بشكل مباشر، وتلك العمليات غير المتعلقة بسبب خارجي"[20]. وهكذا، يهتم هاليداي بتمثيل من يقوم بالفعل (أي الفاعل) ومن الذي يقع عليه الفعل (الذي يتأثر بأفعال الآخرين). وبحسب وصف "ميلز" يمكن بسهولة ترجمة هذه الرؤية للتعدية التي تشكل رؤية متماسكة للعالم إلى الاهتمامات بشأن طرق الترابط بين اللغة والأيديولوجية[21]. وتذهب "ميلز" إلى أن دراسة التعدية تقوم بطريقة تمثيل الأفعال: أي ما نوع الأفعال التي تظهر في النص، من يفعلها وإلى من يتم فعلها. فعندما نقوم باختيارات بين أنواع مختلفة من العمليات ومشاركين مختلفين، بين الأدوار المختلفة التي قد يتبناها المشاركون، فإن هذه القرارات تظهر دلاليًا من خلال خيارات التعدية. إذ يهتم نسق تحليل الخيارات اللغوية في النصوص أساسًا بأدوار المشاركين من البشر. لهذا يظهر فارق واسع عند التمييز بين الفاعلين الواعين، الذين يُنظر إليهم على أنهم قادرون على التفكير، والتواصل والتخطيط والقيام بالفعل، وبين غيرهم مما يوجد في العالم، سواء أكانت كائنات عضوية أم غير عضوية، حية أم غير حية، والتي يفترض أنها عاجزة عن التفكير الواعي والفعل المخطط[22].

المثال الأول: تفصح الاستراتيجية المتبعة الآتية لاستخدام الأفعال في الصحيفة إذا ما ظهر لنا الجانب الآخر للصياغة في صحيفة أخرى تنقل الحدث ذاته؛ فجاءت تلك الصحيفة بعنوان تقريرها:

«الشورى يرفض تعيين المرأة سفيرة وزيادة رواتب الدبلوماسيين»[23].

صيغ العنوان بفعل متعد وهو (يرفض) بينما استعملت الصحيفة المصدر من دون إظهار فاعلها وهو (زيادة)، وذلك لأنه برأيها لا يرتقي لمستوى (فعل الرفض) في الأهمية ذاتها، لذلك لا فائدة من ذكر الفاعل، فهو غير المقصود ولا المراد بعينه، أما فعل الرفض مع ذكر فاعلها فهي بمنزلة المدخل لموضوعٍ أهم، وهذا فيما معناه أن الصحيفة

(19) صحيفة الجزيرة. (2017 سبتمبر 30). خليجية شجاعة تنقذ سائقًا من الموت احتراقًا بعباءتها.

(20) Mills, Sara. (1995). Feminist Stylistics. Routledge. Chapman and Hall, Incorporated, P 110.

(21) السابق، ص 110.

(22) السابق، ص 111.

(23) صحيفة عكاظ. (2015 أبريل 7). الشورى يرفض تعيين المرأة سفيرة وزيادة رواتب الدبلوماسيين.

استعملت نوعًا من إظهار عدم موافقتها للمقترحات التي يبديها أعضاء الشورى، وهنا احتمالية موجهة لإثارة رد فعل عاطفة الجماهير تجاه تلك المسألة.

بينما صحيفة الجزيرة أدرجت نصًا مناقضًا تمامًا لما ورد في صحيفة عكاظ في التقرير نفسه بالتركيز على الجانب الإيجابي وإخفاء السلبي بحذف الأفعال:

«مصادر لـ(الرياض): دبلوماسيات بمرتبة سفير.. قريباً»[24].

وعلى احتمال بأن يصبح تعيين الدبلوماسيات لسفيرات ممكنًا فاستعملت للتنبؤ عن هذا الاحتمال المتوقع بكلمة (قريبًا)، ولم تستعمل صراحة بما عقد في جلسة الشورى، بل كان تأييد واستحسان من بعض ممن يُحسب على الصحيفة كما يظهر هذا في نص التقرير.

هذا التناقض العجيب بين الصحف في تفسير التقارير تُظهر للقارئ الوجوه الأيديولوجية التي تتبناها كل صحيفة ومرامها المقصود منها والدور الذي تؤديه في اللعب والتحكم بتوجهات القراء في قراءاتهم للصحف.

المثال الثاني: استخدام فعل (قتل) بدلًا من (استشهد):

«قتل داعية سعودي بالرصاص مساء الثلاثاء في شرق غينيا، وفق ما أفادت اليوم (الأربعاء) مصادر أمنية وطبية. وكان القتيل الذي لم تكشف هويته أو سنه، ضمن بعثة دعوة وبناء مساجد في منطقة غينيا العليا المحاذية لمالي وساحل العاج. وقتل الداعية السعودي في قرية كانتبيالاندوغو... وقال مصدر أمني إن الداعية «قتل برصاصتين في الصدر...»[25].

إن الفعلين (قتل) و (استشهد) من شأنه بلورة أذهان الجمهور حول مضمون التساؤل الآتي: هل يحوز ممن صورته الصحيفة بأنه مقتول وليس مستشهدًا بفعل (قُتل) على رضا الصحيفة، وهل يستحق في نظر الصحيفة هذا الفعل (استشهد) للداعية المقتول؟، ما المعايير الخاصة التي تتبناها الصحيفة في استعمال فعلي (قتل واستشهد)، وما مدى تأثير هذا الأمر على القراء؟.

2- الممارسات الخطابية.

لعل من إسهامات فيركلوف في منهجه النقدي للخطاب هو اهتمامه بعمليات إنتاج النصوص واستهلاكها وهو ما يسمى بعملية (ممارسات الخطاب). وقد شمل هذا الاهتمام في دراسته الاهتمام بالنصوص الإعلامية عامة. التي تتبنى مفهوم الممارسات الخطابية: وهي التي تتناول العمليات المستخدمة في إنتاج النصوص واستخدامها، فهي تركز على كيف يستعمل متلقو أو مؤلفو النصوص الممارسات والأساليب المتاحة من النصوص لاستعمال النصوص وتفسيرها، فتُعدُّ الممارسات الخطابية للصحافة هي العمليات التي من خلالها يقوم الصحفيون بإنتاج النصوص، والقراء باستهلاكها واستيعابها[26]. فهنا تبرز أهمية تحليل الخطاب الإعلامي المتمركز في تحليل المعاني في الخطابات وسلوكيات الأفراد والجماهير. فإن- بلوميرت- يوجب عند تحليل المعاني أن يؤخذ في الاعتبار تاريخ سياق إنتاج النص، وآليات ووسائل إعادة الإنتاج والاستقبال، وطرق التخزين والحفظ أو التذكر، فالخطابات لها تاريخها الطبيعي- وهو الأساس الزمني والاجتماعي والثقافي الذي ينتج المعنى والتأثيرات الاجتماعية بطرقٍ لا يمكن قصرها على سمات النص وحدها، وبهذا تنتج النصوص جماهيرها، وتنتج الجماهير نصوصها[27].

---

(24) صحيفة الجزيرة. (2015 أبريل 21). مصادر لـ(الرياض): دبلوماسيات بمرتبة سفير.. قريبًا. ع17102.

(25) صحيفة عكاظ. (2018 يناير 17). غينيا: اغتيال «داعية» سعودي أثناء دعوته إلى بناء مساجد.

(26) Richardson, J. E. (2006). P 75.

(27) السابق، ص 75.

ومن الطبيعي أن يكون للخطابات سياقها الاجتماعي: أي أن الخطاب يحدث في بيئات اجتماعية (من إنتاج النصوص واستهلاكها) ويرتبط بناء النص بشكل منظَّم ومتوقَّع بتلك الظروف السياقية، ويقيم الخطاب الصحفي على قاعدة مؤسسية في حالة الاتصال الجماهيري غير المباشر. وتُعد الخطابات في هذه الحالة هي مجموعات منظَّمة بشكل منهجي من البيانات التي تعبر عن معاني قيم مؤسسة ما. ومن هذا المنطلق، يمكن الإشارة إلى الخطاب الصحفي بصفته النظام (والقيم التي يرتكز عليها) والذي من خلاله تختار المؤسسات الصحفية التصريحات المحتملة التي تتناول موضوعًا ما وتنظمها. ولا يجب أن تقتصر دراسة الخطابات الصحفية على مراعاة القضايا التي تؤثر على محتوى الأخبار فقط – مثل: معايير الاختيار المستخدمة للتمييز بين الحدث والخبر (القيم الصحفية) والمنطق الذي يدعم معايير الاختيار هذه (تكاليف جمع الخبر، وكتابته للجمهور، والالتزامات الحزبية) - ولكن عليها أيضًا- أن تهتم بشكل الخبر، وتنظيمه، وتقديمه، واستهلاكه، سواء على المستويات النصية أم التناصية[28].

1-2 الأسلوب اللغوي:

يشير ريتشاردسون إلى الأهمية المعتدَّة التي تنطلق في أي تحليل لنص خبري على مستوى التحليل الخطابي، وهي مهمة ربط جماهير الإعلام بفكرة الأسلوب اللغوي، فالأسلوب اللغوي هو المفهوم الذي يسعى إلى تسويغ التنوعات في البنيات المعجمية والنحوية للنصوص، فإذن الأسلوب هو: مفهوم نسبي من حيث إنه يصف بعض الفروق ذات الصلة بين النص أو الخطاب وبعض النصوص أو الخطابات الأخرى [...] وعامة ما ينطبق على أمثلة اللغة الحقيقية، واللغة التي ينتجها المتحدثون من خلال اعتقاداتهم وغاياتهم وأهدافهم في مواقف محددة، وفي بعض البيئات الطبيعية والاجتماعية والمؤقتة[29].

لهذا يتصف تنوع الأساليب بأي حال من الأحوال بأنه حر أو تعسفي، ولكن لابد مع ذلك من النظر إليه بوصفه جزءًا من مكونات الدور الذي يؤديه السياق في تكوين النص والكلام، وهنا يرى فان دايك أن المحللين يحتاجون إلى ربط تنوع الأساليب في اللغة بالسياق الاجتماعي والأدوار الاجتماعية التي يمثلها الناس ويقومون بها في عملية الاتصال. وبعبارة أخرى، تخبرك اللغة التي يستخدمها الصحفيون لمخاطبة الجمهور (أو القارئ) بشيء عن هويات كل من الصحفي والجمهور و-أيضًا- بشيء عن العلاقة المفترضة بينهما. فعلى سبيل المثال: قد يكون الأسلوب المستخدم دارجًا أو رسميًّا؛ وقد يكون صحيحًا أو عاميًّا؛ وقد يستخدم مصطلحات خاصة، أو عامية أو شعبية – (وهكذا) [...] نادرًا ما تراها خارج الصحف. ويرى أن الخيارات الأسلوبية تقترح وجود علاقة بين الصحفي والجمهور، من ناحية القرب أو البعد، أو الألفة، أو الرسمية، وهي علاقة بين أكفاء، أو قد يتبنى المتحدث دورًا تعليميًا[30].

ومع ذلك، يضع ريتشاردسون نقطتين ينبغي وضعهما في عين الاعتبار: أولاً، عادة ما تتبنى المؤسسات الإعلامية سياسات واضحة في بعض جوانب الاستخدام اللغوي على الأقل؛ لذلك عندما يبحث المحللون عن الآثار الإيديولوجية الناتجة من الأنماط المعجمية والنحوية في الخطاب الإخباري، فلابد من الاعتراف بأن بعض الجوانب النظامية قد تكون نتيجة لقواعد الأسلوب اللغوي الواضحة وليس للافتراضات الضمنية عن الموضوع الذي في متناول اليد. ثانيًا، هذا لا يعني أن اختيار الأسلوب يفتقد إلى أي أهمية إيديولوجية. فسياسات الأسلوب هي سياسات

(28) السابق، 75، 76.

(29) السابق، ص 95.

(30) Van Dijk, Teun A. (1988). News as discourse. Routledge, p 27. Richardson, J. E. (2006), P 95.

إيديولوجية نفسها. فعلى الرغم من أن هذه القيم الأسلوبية قد شُكِّلت لتكون بمنزلة أحكام وظيفية أو جمالية بحتة[31].

ومع ذلك لا يوجد دليل واضح وموحد لسياسات استخدام الصحف العربية للأساليب اللغوية في الصحف السعودية خاصَّة، كصحيفة الرياض التي تعتمد على تدريب العاملين بها على كيفية صياغة الأخبار والأساليب العامة المتَّبعة[32]، ما عدا الأسلوب- وهو (دليل المحررين)- الذي وضعته المؤسسات الإعلامية السعودية لصحيفتي الحياة[33] والشرق الأوسط[34]، ويعنينا –هنا- المطبوعتان. فقد وضعت تلك الصحف دليلًا إرشاديًا لسياسة الأساليب اللغوية، وهو كتاب أسلوب يتضمَّن القواعد الأساسية التي يتوجب استخدامها في صياغة موادها التحريرية وهي موجهة لمحرري تلك الصحف. ولا شك أن الأساس في الدليل العربي لأسلوب الصحف اللغوية أن تستند إلى القواعد النحوية المستخدمة في اللغة العربية، وهذا أمر لابدَّ منه؛ لتلافي الأخطاء اللغوية والنحوية بشكل عام، لكنها حوت بعض الإشارات العشوائية عن مضمون سياسة الصحافة التي كشفت عن هويتها، وبقدر ما حملت تلك الإشارات عن هوية الصحيفة وفلسفتها، وأفصحت عن سياستها، فـ «المهم في أي كتاب أسلوب أن يكون علامة تعكس الشخصية الخاصة للمؤسسة الإعلامية والطابع التحريري الذي تنفرد به.. »[35]. إلا أننا لا نعدم أن لكل صحيفة لها أسلوبها الخاص وطابعها في صياغة الأخبار وما يقدمه عاملوها فيها، فنلحظ عند تتبع أساليب كل صحيفة نجد –مثلًا- صحيفة عُكاظ تميل إلى إضفاء الجوانب البلاغية والكلمات المثارة خصوصًا على عناوين الأخبار والتقارير، على سبيل المثال استعمال كلمة (قريبًا) لجلب الأنظار حول قراءة مضمون الخبر، عندما تهون من وجود (المعسل) في فنادق الرياض، محاولة المساس بكل ما تنص عليه الثوابت الدينية والمجتمعية بحرمتها وضررها:

قريبًا.. عودة مقاهي المعسلات في فنادق ومطاعم الرياض[36].

وقبل حلول السنة التي ستفرض فيها الدولة الرسوم والضرائب، وقبل الإعلان عن صدور ميزانية 2018م، وفي ظل ترقب المواطنين والمقيمين وتوجسهم عمَّا سيترتب من هذا القانون الضرائبي، قامت الصحيفة بصياغة العنوان الآتي بناءً على توقعاتها لنسبة العجز:

ميزانية 2018: «العجز» تضاءل 61 %.. لا رسوم ولا ضرائب.. وتحفيز الشركات[37].

أما جريدة الرياض يغلب على أساليبها الميل إلى المباشرة في أثناء الطرح والتناول، معتمدة على النقولات، وعلى إضفاء المزيد من المصداقية والأمانة لدى جمهورها. كما في الآتي:

الناقد السينمائي«...» يعلق مجيبًا: «...»، ويضيف متذكرًا: «...»، مضيفًا: «...»[38].

---

(31) Richardson, J. E. (2006), P 96.

(32) أكّدت هذا الأمر الصحيفة نفسها عبر اتصال هاتفي بها في يوم الثلاثاء بتاريخ (6 فبراير 2016).

(33) كتاب: أسلوب صحيفة الحياة: http://bit.ly/1Uh8nzU

(34) مجموعة من محرري كتاب: أسلوب صحيفة الشرق الأوسط. ط1. الشركة السعودية البريطانية للتسويق. لندن. 2013 مارس: http://bit.ly/25ymXLv

(35) العمير، عثمان (رئيس تحرير صحيفة إيلاف الإلكترونية). مقدمة كتاب: أسلوب صحيفة إيلاف الإلكترونية. http://bit.ly/1PjZ6ez

(36) صحيفة عكاظ. (2018 مايو 1). قريبًا. عودة مقاهي المعسلات في فنادق ومطاعم الرياض.

(37) صحيفة عكاظ. (2017 ديسمبر 19). ميزانية 2018: «العجز» تضاءل 61 %.. لا رسوم ولا ضرائب.. وتحفيز الشركات.

(38) صحيفة الرياض. (2014 سبتمبر 29). السينما.. جهة جديدة لمحاصرة التطرف.

2-2 التناصية.

يعتمد مفهوم التناصية على الفكرة القائلة بأنه لا يمكن استعراض أو دراسة النصوص بمعزل عن غيرها؛ إذ إننا لا ننتج أو نستهلك تلك النصوص في معزل: حيث يخضع وجود جميع النصوص إلى علاقتها ببعضها بعضًا، ومن ثَمَّ لابدَّ من دراستها في إطار هذه العلاقة. ومن هذه النقطة يتبنى ريتشاردسون في مفهوم التناصية اعتمادًا لما اقترحه فيركلوف حول تلك النقطة، فيَعد هذا الأخير أن لمفهوم التناصية أهميَّة مركزيَّة لنموذج تحليل الخطاب النقدي[39]. ونقلًا عن كل من فيليبس وجورجنسن (2002: 70)، اللذين ينصان على أن نموذج تحليل الخطاب النقدي لفيركلوف: يعزز ويقوم على المبدأ القائل بأنه لا يمكن فهم أو تحليل النصوص بمعزل عن غيرها – بل يمكن فهمها من حيث علاقتها بشبكات النصوص الأخرى وبالسياق الاجتماعي[40].

فهناك ما يسمى بالتناصية الخارجية التي لا يمكن فهم أو استيعاب النصوص بشكل كامل (بمعنى؛ الكشف عن معناها التفصيلي الكامل) إلا بوضعها في سياقها، وقراءتها في إطار علاقتها بغيرها من النصوص والممارسات الاجتماعية[41]. ونقلًا عن بلوميرت (1999: 5) فإنه: " يقوم كل نص بدمج النصوص السابقة، أو إعادة صياغتها، أو تفسيرها أو إعادة قراءتها، بينما تمتد أصول كل فعل من أفعال التواصل إلى خلفيته التاريخية من المعاني والاستخدامات العملية التي لا تتصف بالبساطة أو الطولية، ولكنها توصف بأنها معقدة، ومتعددة الطبقات ومجزأة"[42]. والقصة الجارية Running Story هي مثال صحفي لتلك التناصية، حيث نقل ريتشاردسون عن فرانكلين وزملائه (2005: 327) في تعريفهم للقصة الجارية: هي الخبر الذي ينتج المزيد من التطورات أو الاكتشافات المتجددة، وتثير تغطية إعلامية لفترات قد تمتد إلى أيام، أو شهور أو حتى سنوات"[43]. فعندما نقرأ آخر جزء من القصة الجارية، فإنما نفعل ذلك ونحن على علم أنه آخر جزء – وبعبارة أخرى، نحن نعي أن النص هو حلقة في سلسلة. ويمكن الكشف عن وجود هذه السلسلة النصية في استخدام العلامات الخطابية[44]. على سبيل المثال في التقرير الآتي يوجد سمة في العنوان الرئيس يدل على أن هذا التقرير هو الأخير في سلسلة التقارير التي نُشرت حول هذا الموضوع:

انقلاب حوثي على «الإفتاء».. أيضًا[45].

يمكن أن يتصور القارئ أن هناك سلسلة سابقة من الانقلابات تشي بها لفظة (أيضًا) تعكسها صياغة التقرير، فقد كشفت سلسلة الارتباطات التناصية بين النصوص من خلال القصة الجارية في عبارة (أيضًا). ومن مثلها عبارات قد يستنتج منها القارئ الصحفي مزيدًا من الارتباطات التناصية كـ(أخرى) و(جديد) ...وغيرها.

وبالضد هناك ما يعرف بالتناصية الداخلية، وهي بمعنى: إن النصوص السابقة تتواجد في النصوص الحالية – أي أن جميع النصوص بلا شك تتكون أو تتألف من أجزاء أو عناصر من النصوص السابقة. هذه هي الحالة بشكل خاص مع نقل الخبر والتي يجب بالضرورة أن تعيد إنتاج تصرفات الآخرين وآراءهم[46]. وهكذا، قد يحتوي التقرير الإخباري على عناصر لخبر صحفي، أو استشهاد من مصدر له علاقة مباشرة بالفعل أو الحدث المنقول

---

(39) Richardson, J. E. (2006), P100.

(40) السابق، ص 100.

(41) السابق، ص 100.

(42) السابق، ص 101.

(43) السابق، ص 101.

(44) السابق، ص 101.

(45) صحيفة عكاظ. (2017 أبريل 12). انقلاب حوثي على «الإفتاء» أيضًا.

(46) Richardson, J. E. (2006), P 101, 102.

(المعلومات) أو يقوم بالتعليق عليها (التقييم)، أو بالمعلومات التي تتناول الخلفية التاريخية والمستقاة من أرشيف قصاصات الصحيفة، أو من الصور الثلاثة للنص[47]. وتتخذ التناصية الداخلية طرقًا متعددة، منها ما يلي:

ما يمكن ضم الكلام المنقول بالاقتباس المباشر. وفي مثل هذه الحالات، يقدم الصحفي ملخصًا بمحتوى ما قد قيل أو كُتب، وليست الألفاظ المستخدمة بالفعل"[48]. وتنتشر أمثلة هذا النوع من الكلام المنقول في الصحافة [...] التي ترتبط معناها أو مغزاها بالفعل الذي اختير، والبدائل التي جُهِلت (عمدًا) [...] كان يمكن أن يستخدم الصحفيون وبكل سهولة الفعل "يقر" بدلًا من "يزعم" أو "يتعهد"، وتشكل العملية اللفظية المختارة لوصف الكلام المنقول فهم أو استيعاب الحدث المنقول، وقد يكون ذلك إيديولوجيًا في بعض الحالات. يتضح كل ما قيل في النموذج الآتي:

«واشنطن تهدد بمزيدٍ من الضغط على الأسد»[49].

قد جاء في نص الخبر بصيغة مختلفة مما هو عليه في العنوان: «تدعو الولايات المتحدة إلى الإبقاء على الضغط الممارس على سوريا بعد موجة ليلية كثيفة من الضربات الصاروخية من سفنها الحربية، رغم إمكانية أن يتسبب التصعيد الروسي في تأجيج واحد من أخطر النزاعات في العالم»، فيفهم من نص الخبر أنها دعوة لاتخاذ إجراء احتياطي للضربة، كونها قد تتسبب بالتصعيد، أما في العنوان وُصفت على أنها (تهديد).

ففي هذا المثال وغيره قد يُضخَّم (أو يهوَّن) من العمليات اللفظية والتي يمكن وصفها بأنها تهديدات أو على الأقل تثير التهديد، من خلال اختيارات الصحفيين للألفاظ. وفي هذه الطريقة تتعامل الصحف بالعمليات اللفظية في تضخيم المواقف مما يعطي دافعًا في تأجيجها والدفع بها إلى ما تروم سياسيًا.

ومنها ما يمكن استخدام الكلام المنقول بالاقتباس المباشر الظاهري، ففي الاقتباس المباشر الظاهري تستلزم بنية الجملة الكلام المباشر، إلا أنه يختلف نظريًا عن الاقتباس المباشر في تكوينه. كما يختلف –أيضًا- الاقتباس المباشر الظاهري عن تلك الاقتباسات المباشرة غير الدقيقة. وذهب ريتشاردسون إلى أن هذا الاختلاف غير واضح في ميدان التطبيق والممارسة. فعلى سبيل المثال؛ قد تلجأ صحيفة إلى اختلاق ذلك الاقتباس في حالة جمعها بين حقيقتين، جزء منه صادق والآخر إضافة تخيليّة لكنه متوقَّع؛ من أجل إضافة مزيدٍ من الأثر. ومثال على ذلك ما جاء في عنوان ونص التحقيق الآتي:

«الحربي لـ المدينة: الجائزة دليل كفاءة المرأة السعودية.. وزوجي هو داعمي الأول»[50].

في نص العنوان بشقه الثاني من القول المنقول قد ذُكر بين النصوص مع وجود داعمين للمرأة، لكن انتقت الصحيفة ولي أمرها (الزوج) من بينها ورصفتها في العنوان. ولكن في شقه الأول من العنوان لم يشر المنقول عنها صراحة في نص التقرير، ويبدو أنه من صنع الصحفي لدعم إيديولوجية معينة، ومن يقرأ النص قد ينطوي عليه معنى احتقار المجتمع للمرأة في مجال الإبداع والتميز والكفاءة، وفي هذا دليل على أن الصحف تتخير ما يدعم توجهها من بين النصوص المنقولة. ولذلك قد تروم الصحيفة إلى معنى أن المرأة السعودية لا يمكن أن تحتقر في مجتمعها وها هي قد أبدعت في مجال السياحة بحصولها على الجائزة، ومع ذلك لا بد من دعم زوجها أو من هو له ولاية عليها كما هو مبين في الجزء الآخر.

---

(47) انظر: فيركلوف، نورمان. (2009) تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي. ترجمة: طلال وهبة. المنظمة العربية للترجمة. بيروت، ص 89. ريتشاردسون. (2006)، ص 102.

(48) فيركلوف، نورمان. (2009)، ص 109.

(49) صحيفة الشرق الأوسط. (2017 أبريل 8). واشنطن تهدد بمزيد من الضغط على الأسد. ع 14011.

(50) صحيفة المدينة. (2017 أبريل 4). الحربي لـ المدينة: الجائزة دليل كفاءة المرأة السعودية.. وزوجي هو داعمي الأول.

ويشير ريتشاردسون إلى أن غالب ما يظهر في محتوى الاقتباس الظاهري وكأننا ننوي أن نرى من خلال الادعاء بأن المصدر المزعوم يأتي بالفعل مع الاقتباس [...] وعادة ما يمكن ملاحظة هذه الصورة من صور الكلام المنقول، ليس في التقارير الصحفية فقط، ولكن أيضًا نجدها في المطبوعات الساخرة؛ حيث كان المقصود أن يبدو الانفصام بين الكلام المنقول وهوية المتحدث فكاهيًا.

3- الممارسات الاجتماعية.

لقد ناقش ريتشاردسون ثالث تلك النماذج في تحليل الخطاب النقدي، وهي: الممارسات الاجتماعية، إذ تغطي الممارسات الاجتماعية الهياكل، والمؤسسات والقيم التي على الرغم من وجودها خارج غرفة الأخبار، تتغلغل وتشكل أنشطة الصحافة ومخرجاتها. وبقدر أكبر من التفصيل، فإنه من اللازم عند تحليل الممارسات الاجتماعية للخطاب، وضع ما يأتي في الاعتبار: الممارسات الاقتصادية، مثل أسلوب وعلاقات الإنتاج، والتكوين الطبقي للجمهور وقيمتهم بالنسبة للوكالات الأخرى مثل: المعلنين. والممارسات السياسية، مثل التأثيرات التكوينية للمؤسسات السياسية والقانونية. والممارسات الإيديولوجية، مثل دور الصحافة في نشر القيم الاجتماعية ودعمها، وعلاقة تلك القيم الاجتماعية بحالات اللا مساواة الاجتماعية الهيكلية الأوسع. وتحيط تلك الممارسات الاجتماعية بل وتشكل – أيضًا- عمل الصحافة، مما يعني أن تحليل الممارسات الاجتماعية لخطاب صحيفة ما سيتطلب من المحلل النظر خارج النص ودراسة العلاقات بين الصحافة والتكوين أو التشكيل الاجتماعي ككل[51]. وتفترض دراسة الممارسات الاجتماعية للخطاب الإخباري وجود علاقة جدلية بين المجتمع والصحافة. وبعبارة أخرى، علاقة ذات اتجاهين بين العالم الاجتماعي والصحافة، حيث يؤثر كل منهما في الآخر: إذ يؤثر العالم على الصحفيين ويؤثر الصحفيون في العالم. ويتخذ تأثير المجتمع في عمل الصحفيين طرقًا متنوعة كثيرة، بدءًا من التأثيرات التأسيسية للإيديولوجية، والهياكل الاجتماعية، والسلطة الاجتماعية، والوكالات والمؤسسات الأخرى إلى قيم الجمهور المستهدف وتفضيلاته[52].

1-3 الممارسات الاقتصادية وخطاب الصحف:

نميّز قبل البدء بين الحملات والمناشدات؛ فعند ريتشاردسون المناشدة؛ تعني طلبًا مباشرًا وصريحًا بالمال، والحملات؛ هي الأنشطة التي ربما يمثل المال جزءًا منها ولكنه ليس المعيار الوحيد لنجاح الحملة[53]. ومن هنا يذكر بأن الحملات الصحفية تُطلق من أجل استثارة رد فعل من العامة أو من أصحاب القوة والنفوذ، وبعبارة أخرى، دائمًا ما تستهدف تلك الحملات تغيير الأشياء بشكل أو بآخر. لهذا تدل الحملات الصحفية على وجه الخصوص على الوضع السياسي للصحف وقيادتها – أي على العلاقة بين الصحيفة وقرائها، والعلاقات بين الصحيفة وباقي المجتمع. كما توضح الحملات أن الخطاب الصحفي هو وسيلة للقوة والنفوذ، وإذا ما وضعنا ذلك الرأي في الاعتبار، علينا أن نتساءل عن أنواع الأشياء التي تستهدف تغييرها، وتلك القضايا التي تلقي عليها الضوء وتجلبها إلى الصدارة، بالإضافة إلى علاقتها بالعلاقات الاجتماعية الظالمة (أو ذات السلطة) الأكثر امتدادًا. فإذا ما وُجدت هذه العلاقات، سواء بشكل غير جلي أم شرعي، يقوم الخطاب الصحفي بعمله بطرق إيديولوجية، وفي نطاق ذلك؛ ينظر إلى الإيديولوجية بصفتها مادة وممارسة؛ إذ تتكوَّن الإيديولوجيات من مصفوفات من المعتقدات، والاتجاهات والممارسات التي تشكل طرق النظر إلى العالم وطرق العمل في العالم، والتي تقبل أو تُطبع المتناقضات في قلب المجتمع الرأسمالي (أو العربي

(51) Richardson, J. E. (2006), P 114.

(52) السابق، ص 114.

(53) السابق، ص 116.

وغيرها). وبعبارة أخرى، تساعد الإيديولوجيات أعضاء الجماعة على العمل كما لو أنهم يتشاركون في الأهداف العامة، والقيم، والأوضاع والموارد[54].

وتطلق الصحف السعودية حملاتها من بين منظومة إعلامية مشتركة ومتكاملة الأهداف لا تكون ميزتها وهمُّها الاستقلال الاقتصادي أو حتى الاستقلال السياسي والفكري والاجتماعي لها. بالمقارنة مع ما نراه في الصحف البريطانية ذات الاستقلال الاقتصادي فتسعى لأجلها جاهدةً لتبنّي قضايا أو خلقها؛ سعيًا لتعويض تلك الخسارة المادية التي تحاول تلافيها من النقص في قياس توزيع الصحف المحلية، فيتطلَّب ذلك منها تلك المنافسة لصحف المناطق المجاورة أو في صحف المنطقة نفسها، فيزيد معها توظيف وتدجيج الموضوعات الأيديولوجية بطرق مختلفة في صياغة الخطاب، من شأنه جذب القراء لشراء الصحيفة. فالصحافة في السعودية غير مستقلة اقتصاديًا فقط، بل إضافةً إلى التوجهات السياسية والفكرية والاجتماعية، فهي «ليست مستقلة عن سلطة الحكومة منذ تأسيسها، وهي من ثَمَّ تندرج تحت صحافة الولاء المطلق للنظام الحاكم، حيث مرت بثلاث مراحل منذ نشأة الدولة السعودية الحديثة، وهي مرحلة صحافة الأفراد، ثم مرحلة دمج بعض الصحف ببعضها الآخر، ثم مرحلة صحافة المؤسسات»[55]. ولكل مرحلة من هذه المراحل خصوصيتها وظروفها السياسية والاقتصادية، حيث عانت صحافة الأفراد ماليًا وفنيًا، ما دفع بالمسؤولين إلى تبني فكرة دمج بعض الصحف ببعض في محاولة لرفع مستواها الاقتصادي والفني، وقد دعمتها الحكومة ماليًا حتى تتمكن من أداء مهمتها، لكنها كانت تعاني –أيضًا- ماديًا وفنيًا، وهو ما أدى إلى إنشاء مؤسسات صحفية ذات أهداف اقتصادية ربحية، فأنشئت المؤسسات الصحفية، وهي مؤسسات ليست تابعة للحكومة بشكل مباشر ولكنها ليست مستقلة فيما تطرحه من قضايا[56]. فمن جانب تعود مرجعية الصحف إلى مؤسسات إعلامية اقتصادية مستقلة، تهدف إلى الانتشار والتأثير والكسب المالي والاقتصادي، والمشاركة المجتمعية، ومن جانب آخر تخضع مرجعيتها الفكرية والسياسية إلى التوجهات الحكومية، حيث لا تستطيع الصحافة السعودية النشر في قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية لا تتفق مع توجهات الحكومة، وهي بذلك تحدد مسار اتجاهات القراء نحو القضايا المنشورة[57]. بل إن الصحف السعودية في حملاتها تكون شريكة داعمة ومساندة لأنظمة الدولة، فلا تكون تلك الصحف مستقلَّة رغم أنها مملوكة لأفراد، بل هي موالية ومدعومة من أنظمة تابعة للسياسات العليا، تأخذ حصتها السنوية منها لا يضرّ ذلك في قلة أرباحها إن قلت نسبة توزيع المطبوعات، كما أنها لا تقود تلك الحملات بنفسها ولذا تساير تلك الأنظمة الحكومية والمدعومة من المصادر العليا من خلال المشاركة في التنظيم والتنفيذ، وبطبيعة الحال فإن غالب الصحف السعودية تتميز بصفة المحلية أكثر من أنها تعتني بالشؤون الدولية أو ذات اهتمامات سياسية أو تقارب في ذات الاهتمامات؛ فمن خلال تحليل مضمون جميع المقالات الصحفية في صحف (الرياض، عكاظ، اليوم) في الأشهر الستة الأخيرة من عام 2000م، أشارت دراسة العجمي (2002) إلى أن الخطاب الإعلامي السائد في المقال الصحفي بالصحافة السعودية «يتميز بقربه من الخطاب السياسي من جهة، وتنوع فئاته من جهة أخرى... وقد أشارت دراسة القرني (2002) بأن التغطيات المحلية زادت في العقد

(54) السابق، ص 116.

(55) ينظر: أيه، روو؛ وليم. (د.ت) الصحافة العربية (الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي)، ترجمة: موسى الكيلاني. مركز الكتب الأردني. الأردن، ص 115 وما بعده. جمعان الزهراني، أحمد. (2013). التعرض للصحافة السعودية اليومية وعلاقته بترتيب أولويات القضايا السياسية لدى الجمهور السعودي، دراسة تحليلية وميدانية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة. كلية الإعلام. قسم الصحافة، ص2.

(56) جمعان الزهراني، أحمد. (2013)، ص 2.

(57) السابق، ص 2.

التسعيني الميلادي إلى أن وصلت 86%»[58]. فلذا؛ ما تجد الحملات أمام عنايتها للشؤون المحلية، تلك القضايا التي تهم المجتمع بصفتها هدفًا توعويًا أساسيًا بقدر ما يكون وراءها أهداف ربحية هذا لا يعني أنها لا تسعى من خلالها لتحقيق الربح لكن الاهتمام الأول هو التركيز في الجوانب الإنسانية بنشر الأفكار والتعاليم المختلفة للفئات المستهدفة، وخير دليل؛ حملة أطلقتها جمعية الأطفال المعوقين للسياقة الآمنة بالتعاون مع وزارة الداخلية: (الله يعطيك خيرها) فمن ضمن الشركاء الداعمين كانت مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر[59]، التي تصدر منها صحيفة عكاظ. بل ميزة بعض تلك الحملات التوعوية، التي تأخذ شكل الإعلان، وهي «نماذج البلاغ أو البيان، وتشبه صيغ هذه النماذج الصيغ التي تقدم بها الإعلانات التجارية والفرق بينها أنها إعلانات إعلامية لا تهدف إلى الربح المادي بل تهدف إلى توعية المتلقي ومصلحته»[60].

ولإنْ كانت الحملات التوعوية الإعلامية –بكل أنواعها- في المجتمع السعودي بما من ضمنها حملات كتَّاب وكاتبات المقالات، تسعى لهدف أساسي في تغيير الاتجاهات أو السلوكيات أو تدعيمها وتعزيزها، متمثلة بأحدها وهي؛ الصحيفة بصفتها جزءًا من المنظومة الإعلامية المتعددة للقائمين بالحملة، انطلاقًا من تفعيل دورها بالاشتراك مع المنظمات أو الشركات -رغم ذلك ليس بكل الأحوال أن تشترك جميع الصحف المحلية في دعم حملة واحدة في فترة زمنية محددة إلا في حالة واحدة تتشارك فيه داخل منظومة صحفية ممنهجة؛ فإنها تتحالف الصحف السعودية في المبدأ عند شن حملاتها إذا شعرت أن هناك من يحيد عن سياسات تنموية واقتصادية تريدها الدولة، كما جاء هذا النص الآتي من صحيفة سعودية إلكترونية نقلًا عن صحف مطبوعة من المذكورة آنفًا -أغلقت الخبر فيما بعد- ضد من تعتبره يعاكس رغبات الوطن ومصالحه التنموية:

«علمت "سبق" أن ردود الفعل الصحفية على الرأي الذي أبداه (أحد أعضاء) هيئة كبار العلماء" في برنامج "الجواب الكافي" الذي يبثّ على قناة "المجد" في رده على سؤال من أحد المتصلين من قطر، عما يثار عن "الاختلاط في جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية" تم إغلاقه، وتأكد عدم تناول الصحف السعودية له مرة أخرى» وجاء آخر الخبر: (وعلمت "سبق" أن الموضوع تم إغلاقه في الصحف الورقية، وتأكيدات بعدم تناوله من قبل كتَّاب الصحف السعودية المطبوعة)[61]، هذا الخبر يتضمن اشتراك وتعاون عدة صحف سعودية معًا ضد عضو في الهيئة، ومن الصحف (الرياض"، "الجزيرة"، "عكاظ"، "الحياة"، "الاقتصادية"، إضافة إلى "الوطن")، وفيما بعد عُفي من منصبه بسبب الحملات الصحفية ضده، وهذا يدعم ما ذُكر من عدة جوانب:

1- اعتماد الصحف السعودية (المطبوعة) على تلقي المعلومات من مصدر واحد الذي ينبئ عنه، ذلك القول بـ: (عدم تناول الصحف السعودية له مرة أخرى) و (تأكيدات بعدم تناوله من قبل كتَّاب الصحف السعودية المطبوعة).
2- وتبعًا لذلك تشن الصحف السعودية حملاتها من مبدأ مشترك، وهي نتيجة للشعور بتهديد اقتصاديات الدولة أو توجهاتها من قبل فرد (مشهور) من أفراد المجتمع؛ لتستثير ردود فعل المجتمع معها ضد من يريد الإضرار بمصالح السياسات العليا وما تتبناه من قضايا تنموية أو غير ذلك من الاهتمامات ذاتها، وليس

(58) شويل القرني، علي. "إشراف". (2011). السمات التحريرية للصحافة السعودية، دراسة مسحية على عينة من الصحف السعودية. كرسي الجزيرة للصحافة. جامعة الملك سعود. الرياض، ص 24، 25.

(59) موقع الحملة: http://www.yatek.sa/

(60) الدخيل، فواز. (1998). (الحملات الإعلامية ودورها في التوعية)، مجلة الأمن والحياة. مج 18. ع 200، ص 25.

(61) موقع تراندنت (2009 سبتمبر 1): http://www.traidnt.net/vb/traidnt1342922/

نقلًا عن صحيفة سبق: http://www.sabq.org/sabq/user/news?section=5&id=794

نتيجة لممارسات الصحيفة نفسها بهدف الربح المالي فيما تدعمه من قضايا، أي ليست نتيجة للممارسات الاقتصادية التي اعتمدت عليها الصحف الرأسمالية لزيادة أرباحها، كما أشارت إليه دراسة ريتشاردسون.

3- من أكثر من طَرَق هذا الموضوع واستحوذ عليه كما جاء ما بين النصوص؛ الكتَّاب أنفسهم، عالجوا موضوع الحملة في الصحف المطبوعة، فيُمكِّن للقائم على الحملات ومخططِها، أي من قادة الرأي الاتصال بكتَّاب وكاتبات المقالات الصحفية وحثهم على الكتابة في موضوع الحملة ومناقشته للجمهور من خلال فكرة التعبئة والحشد Mobilization الذي يمكِّن له من أجل خلق حشود من الجماهير، الاعتماد على الصحف والمقالات في صفحات الرأي وكتَّاب الزوايا، ففكرة حشد الجماهير تعتمد على نظرية انسياب المعلومات على خطوتين؛ إذ تُعمَّم الرسالة للآخرين من خلال قادة الرأي الذين يحصلون عليها من المصدر الأساسي، وهنا يقوم أفراد هذه المجموعات بالحصول على المعلومات والمواد من خلال القائمين على الحملة ثم يوصلوها إلى الفئات المراد الوصول إليها وذلك في سبيل تحقيق أهداف الحملة[62]. معتمدين في خطاباتهم لغة لها وظيفة ودلالة اجتماعية مرتبطة بتوجهات الحملة الإيديولوجية، وقد تستعمل في اللغة أشكالًا تستند على خطاب القوة والسلطة، ويُتخير منها سمات لغوية معينة بناء على تخطيط مسبق لأهداف الحملة، قد يمثِّل فيه (الرأي) وأساليب إقناعه خير مثال، ولسبب وجيه أن تلك الخطابات تنطلق من زاوية (مقالات صحفية) لا تتماثل في السمات الموجودة في الخبر والتقارير أو غيرها من الأنواع الصحفية الأخرى، ومن حيث ما أشار إليه ريتشاردسون في حديثه عن الممارسات الاجتماعية، فإن الصحفيين والكتاب يُعدَّون حلقة وصل تجمع بين الصحافة والعالم الاجتماعي الأكبر من حيث الممارسات الاقتصادية أو السياسية في الصحافة. وانتهاءً بالعمل الإيديولوجي الذي يبرر ويلطف في العمل النهائي، وقد تتقاطع داخل تلك الممارسات، فيمكن عدَّها حلقة الوصل الأكبر من بين الممارسات الاجتماعية بالنسبة للصحف السعودية. وخلاصة القول: تقوم الصحف السعودية بخلق ولاء وانتماء القراء والمجتمع عند شن حملاتها من مبدأين: من خلال حملات توعية مشترِكة مع حملات إعلامية أخرى، انطلاقًا من إيمانها بتغيير القيم والاتجاهات السلبية ومقاومتها أو إحلال الاتجاهات الإيجابية بتدعيمها وتعزيزها. والمبدأ الآخر؛ حملات ضد من تعتبره يعاكس رغبات الدولة ومصالحها التنموية والتطويرية أو ضد اتجاهات السياسات العليا في الدولة، كونها طريقة للتدخل قبل حدوث المشكلات ومواجهتها من الدولة لها عن طريق الصحف؛ بحيث تجعل لمثل هذا التدخل أن يجد تبريره لدى القراء أو المتلقين فيسلّمون به بصفته أمرًا طبيعيًا؛ لذا تخلق الحملة مسوغاتها في ظل مجموعة القيم والمبادئ الإنسانية والديموقراطية التي تسعى بها الدولة نحو التغيير والتطوير في المجتمع. وأن من مثل تلك الحملات تقوم بتصوير هذا الأمر في حدود لا يمثِّلها المجتمع بمبالغة المواقف مثلًا؛ لأجل غايات تسويقية لمبادئ اجتماعية تنموية، تطويرية.. بوصفها طريقة تتجه إليها الدول النامية للنهوض بالمجتمعات، بحيث في حال عند عدم استعمال الحملات الصحفية وتوظيفها هي نتيجة تقود إلى التأثير سلبًا على اقتصاديات الدولة، وعرقلة سياساتها التنموية والتطويرية.

بل إن الصحف السعودية تأخذ شكلًا آخر وشِقًّا ثانيًا من الموضوعات الذي تناولها ريتشاردسون في الممارسات الاقتصادية تعتمد ما وراءه من الربح المادي في استغلال الموضوعات الاجتماعية من حيث طريقة توظيفها للنصوص، وهي في المناشدات الصحفية التي تتلقاها من المعلنين من لهم قضايا إنسانية، وترى فيها أنه لن يتحقق

(62) العوفي. دبيان. (2012) حملات التوعية الإعلامية، الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية. دار جامعة الملك سعود. الرياض، ص 258 و ص 260.

مالم تُمارس النقد البنَّاء لخطط وبرامج وممارسات أنظمة الدوائر الوطنية، يُشكل غالبيتها في القضايا المتعلقة بالصحة، فكثيرًا ما نجد صياغة نماذج من المناشدات بالتركيز على الحالات الفردية، شبيهة بما جاء في التقرير الآتي:

«تجاوباً مع ما طرحته (الجزيرة) الأمير عبدالعزيز بن فهد تكفَّل بعلاج ومصاريف المريخي.. والمثقفون يشيدون بهذا التفاعل»(63).

من نص الخبر: «فجاء ذلك في تجاوبٍ سريع لم يستغرق سوى يوم واحد فقط من سموه كردة فعل على مناشدة المثقفين والأدباء التي نشرتها (الجزيرة) في عددها رقم 11916 بتاريخ 6-4-1426هـ الموافق 14-5-2005 م..» وفي سياق الخبر: «[..] قدموا أوراقه إلى وزارة الصحة، الأمر الذي استغرق شهورًا طويلة من الانتظار..»، «.. وهو الأمر الذي دفعه وأعضاء الجمعية ومثقفو وأدباء وفنانو المنطقة الشرقية إلى مناشدة صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد عبر "الجزيرة"».

ونجد بعدها عادةً، في مثل تلك الممارسات تجاوبًا سريعًا لدى المؤسسات والأنظمة الحكومية التابعة لها، أقلّها لم يستغرق يومًا واحدًا فقط! بعد أن كان يستغرق (شهورًا طويلة..) لدى الجهات الوطنية المسؤولة. ومثل هذا المثال أمثلة كثيرة، تتجاوب من خلالها المؤسسات العليا للقضايا المطروحة في الصحف، وهذا الأمر دفع بالصحافة لإحلالها دور صناعة القرارات، وبخاصة المطالب والمناشدات المتعلقة بقضايا المرأة التي لا تحلّ إلا عبر الصحف وفي وسائل الإعلام؛ وبذلك تتشكل نظرة للمرأة السعودية أنها مسلوبة من حقوقها، بناءً على الحكم عليها من خلال تلك الأعداد التي تُنشر في الصحف وفي وسائل الإعلام. وبالتأكيد فإن من شأنِ ذلك في فكرة الاستغلال هذه تقود إلى إحلال قيم أو إحداث تغيرات في اتجاهات المجتمع وسلوكياته قد تثير قضايا من خلالها، كما نراها في قضية (قيادة المرأة) أو غيرها من القضايا التي تحاول أن ينظر لها من الجانب السلبي وتضخيمه وتُكسب للقضايا جاذبيتها تقود بها لفعل الاستجابة. وكثيرًا ما نرى مناشدات في قضايا المرأة-من غير القضايا المتعلقة بالصحة- كما ورد في صحيفة الرياض:

«تناشد بسكن يؤويها وعمل يكفيها المذلة.

إيذاء جسدي وجنسي يحيل حياة فتاة في القنفذة إلى جحيم»(64).

وجاء في نص الخبر «.. تلقت ألوانًا عديدة من الإيذاء الجسدي والنفسي والجنسي من خلال القهر الأسري الذي عاشته [..] اغتصبت من قبل أقاربها وهي طفلة، وتعرضت للضرب المبرح والحرق من القريب ذاته حتى لا تكشف أمره ثم تعرضت للعنف النفسي وإيداعها من قبل القريب أيضًا بمستشفى الصحة النفسية (شهار) ثم مؤسسة رعاية الفتيات أمام ذلك كله لم تستطع الصمود فعمدت إلى الهروب من المنزل[...]».

من الملاحظ في كامل نص المناشدة كميَّة من الأوصاف استُخدمت فيها استراتيجيات حملية وإحالات التي هي أكثر تمثيلًا لفاعلين وأحداث، هذا السرد القصصي المفصل بحيث لا يغادر منه صغيرة ولا كبيرة جعلت من تضخيم الخبر محاولة قوية لخلق استجابة للقراء. لذا، فإن الحاجة الاقتصادية للصحيفة التي تتلقاها من المعلنين جعل من الإشهار والدعاية السلبية للقضايا الإنسانية واستغلالها محفزًا لإثارة رغبة الجماهير للتعاطف مع الموقف. فيبدو أن هذا الخطاب بقدر ما يكون بريئًا ومحايدًا فهو يخفي حمولة إيديولوجية تعمل على تسييد النزعة والقيم الإشهارية التي قد تقف في وجه ما يتنافى مع مقتضيات الدين والأخلاق، في ظل وجود الدوائر الوطنية والحكومية التي تقوم

(63) صحيفة الجزيرة. (2005 يوليو 20). تجاوبًا مع ما طرحته (الجزيرة) الأمير عبدالعزيز بن فهد تكفَّل بعلاج ومصاريف المريخي.. والمثقفون يشيدون بهذا التفاعل. ع 11983.

(64) صحيفة الرياض. (2009 يونيو 12). تناشد بسكن يؤويها وعمل يكفيها المذلة. إيذاء جسدي وجنسي يحيل حياة فتاة في القنفذة إلى جحيم. ع 14963.

بحلِّ المشكلات، فيمكن النظر إلى الاعتماد الكلي على الأوصاف المركبة وجملة الأفعال التي قامت به الصحيفة بلسان صاحبة القضية التي سايرتها خلال حياتها: (الإيذاء الجسدي والنفسي والجنسي/ القهر الأسري/ تلقت/ اغتصبت/ تعرضت/ ثم تعرضت/ بعد أن فقدت/ لجأت/ ثم لجأت...).

وعليه؛ حدد ريتشاردسون ثلاثة موضوعات إيديولوجية يراها أنها توجه عملية بناء الحملات (أو المناشدات الصحفية)، وهي: الإثارة على موضوع أو قضية الحملة الصحفية. والتعاطفية وهي النزعة إلى عرض قضية ما من منظور انفعالي أو تسليط الضوء على الجوانب الانفعالية للحملة. والتركيز على أعراض وليست أسباب حالات الظلم الاجتماعي[65].

2-3 الممارسات السياسية وخطاب الصحف:

في الوطن العربي عامة يعتمد الصحفيون ومحرروها وكتابها بدرجة كبيرة في استقاء معلوماتهم من الأنظمة السياسية الحاكمة. وقد لاحظ ريتشاردسون أن المؤسسات الحكومية أو العسكرية أو المؤسسات القوية الأخرى يمكن أن تستغل هذا الاحتياج من قبل الصحافة من أجل التحكم في محتوى المنتج الصحفي النهائي. أي أن بمقدور اللاعبين الاجتماعيين والسياسيين خارج غرفة الأخبار (الممارسات الاجتماعية) تشكيل محتوي الخبر (النص) من خلال التحكم في طريقة إنتاج الصحفيين للخبر (الممارسات الخطابية) [66].

وهو ما يدعو إلى التساؤل حول نوعية الأخبار المقدمة للجمهور، ومدى ثقة الجمهور في الصحافة وما تطرحه من قضايا ورؤى وتوجهات في ظل تلك الأنظمة. ولعل هذا ساند تمسّك بعضهم بمفهوم الحياد والموضوعية –كما فُصل سابقًا: التي يرونها في اعتقادهم «أنها تقوي مصداقية وسائل الإعلام في نقل المعلومات بحياد وعدم تحيز. وهو ما دفعهم إلى الاعتماد بشكل مكثف على المصادر الرسمية، وأدى إلى زيادة اعتماد وسائل الإعلام العربية على وكالات الأنباء الكبرى، وزادت حدة التبعية الإعلامية في هذه الدول»[67]. فيمكن القول من خلالها إن الممارسات السياسية للخطاب الصحفي السعودي تتحدد وفق علاقتها بالأنظمة السياسية، فهي في توجهاتها تعتمد اعتمادًا شبه كلي على توجهات الحكومات والأنظمة التابعة، «وعلى الرغم من الانفتاح الإعلامي الكبير الذي حدث خلال السنوات الأخيرة المتمثل بالقنوات الفضائية الحكومية والخاصة، ومساحة الحرية التي تتمتع بها تلك القنوات، وما تقدمه وسائل الإعلام الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي للجمهور من مساحة لحرية الطرح والمشاركة في تناول القضايا العامة. إلا أن الصحافة السعودية ما زالت تنتهج الأسلوب ذاته في التبعية لتوجهات الحكومة في كل القضايا، وعدم مقدرتها على خلق مساحات للحرية للحديث في الشأن السياسي الذي لا يتفق مع رؤية الحكومة السعودية، وهو ما يدعو إلى التساؤل عن رؤية قراء الصحف السعودية حول اعتمادهم عليها في معرفتهم بالقضايا السياسية، ومدى ثقتهم في الصحافة السعودية فيما تطرحه من قضايا، ومدى رضاهم عن الصحافة السعودية في ظل تبنيها لتوجهات ورؤى الحكومة[68] ومن صور تلك التبعية في الصحف وكذا وسائل الإعلام المختلفة في المملكة، اهتمامها بمتابعة ومرافقة الرؤساء والأمراء في الزيارات الدولية وما يتوقع أن تتناوله هذه الزيارات من مباحثات حول العلاقات الثنائية بين المملكة والدول الأخرى خاصة الدول العربية والإسلامية وسبل تعزيزها في مختلف المجالات، إضافةً إلى القضايا الإقليمية، الدولية ذات الاهتمام المشترك. وتتجلى اهتمام الممارسات السياسية في الصحف السعودية في انعكاسها

(65) Richardson, J. E. (2006), P 120

(66) السابق، ص 127.

(67) صالح، سليمان. (2003)، ص 255.

(68) جمعان الزهراني، أحمد. (2013)، ص2، 3.

على تعزيز علاقات التعاون بين الدول، ودعمها للعلاقات الثنائية، وبطبيعة الحال نجد تفعيل دور تلك الممارسات عند وقوع الأحداث واندلاع الأزمات السياسية، فتكفلت استعمال الاستراتيجيات بهذا الأمر، كالاستراتيجية الإحالية والحملية واستعمال ضمائرها، وتتجلى المعاني الضمنية في استعمال التعدية واللزوم، ونرى مثل هذا في ممارسات الصحافة للموضوعات المتناولة بين المملكة واليمن أو بينها وبين مصر أو بينها وبين عمان كما وقعت أحداثها في الفترات الأخيرة، ذلك وينبني على دور تلك الممارسات دعم ما تريده الدول وتمكينه في الواقع وفي نفوس المتلقين بأقصر وقت وأقل جهد. إلى جانب رد الأكاذيب مما يتحتم على الدولة تلافي وقوع الآثار السلبية على أمنها أو أمن المنطقة العربية في ظل وجود بعض الأطراف والجماعات المتطرفة والعدائية تحاول استغلال الفراغ الناشئ من جرّاء وقوع تلك الأحداث، ومن ثَمَّ فإن من صور تلك الممارسات في الصحافة ومهامها دعم توجهات الدولة وسياساتها من خلال إسباغ الشرعية فيما تمارسه من مهام تؤديه، وإعلام المواطنين بما تفعله حكوماتها، اعتبارًا أن «إحدى وظائف الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة هي الوظيفة السياسية التي تقوم على إبلاغ وإعلام المواطنين بما تفعله الحكومات وتلك الأنظمة السياسية.. ومن ثَمَّ التأثير في توجهات القراء وترتيب أولويات القضايا لديهم والتي تتبناها الحكومات وتسعى الى تبنيها من قبل الجمهور»[69]، وقد يتبع بعض كتَّاب الصحف العربية ومحرريها ومراسليها سياسة الصحيفة نفسها التي ينتمون إليها وتوجهاتها السياسية وقد يصدق هذا في الصحف الحزبية والمذهبية. ولكن سنركز في هذا المحور على صور ونماذج من التقارير في ممارسات الصحف السياسية التي أُنتجت في أثناء انطلاق العمليات العسكرية في اليمن بقيادة السعودية التي تُسمى بـ (عاصفة الحزم) ثم (إعادة الأمل) من تاريخ (26 مارس 2015) إلى حينه، أبرزت من خلالها الصحف الخلاف السعودي-الإيراني الدائر حول الأوضاع في اليمن، وحملت تقارير تتوجه بها إلى ذات السيطرة الإيرانية، والتطورات الميدانية للعمليات العسكرية، وتكررت تقارير متشابهة في الهدف بصيغ مختلفة حول استعمال استراتيجياتها المتنوعة في الأحداث السياسية، ولننظر إلى النصوص الآتية عند انطلاق الحملة العسكرية:

رقم	عنوان الخبر	نص الخبر
1	استجابة لطلب الرئيس هادي ورغبة الشعب اليمني. ضربات عسكرية خليجية لحماية اليمن وشعبه من عبث الحوثيين وأعوانهم من القوى الخارجية[70].	«....تابعت كل من المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، ودولة قطر، ودولة الكويت بألم كبير وقلق بالغ تطورات الأحداث الخطيرة في الجمهورية اليمنية والتي زعزعت أمن اليمن واستقراره جراء الانقلاب الذي نفذته المليشيات الحوثية على الشرعية، كما أصبحت تشكل تهديدًا كبيرًا لأمن المنطقة واستقرارها وتهديدا للسلم والأمن الدولي... وفي هذا الإطار استجابت دول المجلس إلى طلب فخامة الأخ الرئيس عبدربه منصور هادي المقدم بتاريخ 1436/5/16هـ....».
2	العربي: «العملية» تتفق مع معاهدة الدفاع[71].	«أعلن الأمين العام للجامعة العربية نبيل العربي، دعم الجامعة الكامل لعملية «عاصفة الحزم»، التي أطلقتها المملكة، بمشاركة عدد من الدول العربية، ضد الحوثيين. وأكد في كلمته أمام الاجتماع التحضيري الذي عقده وزراء الخارجية أمس، دعم الجامعة الكامل لهذه العملية التي تستهدف حماية الرئيس عبد ربه منصور هادي، ممثل الشرعية، وحماية الشعب اليمني...».

(69) السابق، ص 2.

(70) صحيفة عكاظ. (2015 مارس 26). ضربات عسكرية خليجية لحماية اليمن وشعبه من عبث الحوثيين وأعوانهم من القوى الخارجية.

(71) صحيفة عكاظ. (2015 مارس 27). العربي: «العملية» تتفق مع معاهدة الدفاع.

رقم	عنوان الخبر	نص الخبر
3	شكري: سنشارك بقوات برية[72].	«أوضح وزير الخارجية المصري سامح شكري، أن القاهرة تنسق لترتيب المشاركة مع تحالف دعم الشرعية في اليمن، مؤكدًا على أن مصر ستشارك الائتلاف بقوة جوية وبحرية، وأيضًا برية إذا ما لزم الأمر، على ضوء مسؤولية مصر التاريخية والراسخة تجاه الأمن القومي العربي وأمن الخليج العربي...».
4	التحالف يدين محاولة اغتيال مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن[73].	« أدانت قيادة تحالف دعم الشرعية في اليمن محاولة الاغتيال التي تعرض لها مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى اليمن، إسماعيل ولد الشيخ أحمد أمس الاثنين في صنعاء. وقال التحالف في بيانه اليوم: " تدين قيادة تحالف دعم الشرعية في اليمن، وتستنكر بأشد العبارات، محاولة الاغتيال التي تعرض لها مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى اليمن، إسماعيل ولد الشيخ أحمد أمس الاثنين في صنعاء". وأضاف البيان: " تؤكد القيادة على تحميل الميليشيات الحوثية وقوات المخلوع صالح، مسؤولية مثل هذه الأعمال الغادرة والجبانة وغير المسؤولة، التي تهدف إلى إعاقة جهود الأمم المتحدة للتوصل إلى حل سلمي للأزمة، كما أنها تؤكد الحقيقة الماثلة للعيان والمتمثلة في النهج الإجرامي للميليشيات وقوات المخلوع صالح، وأنه لا يمكن الوثوق فيها».
5	«الحوثي يترنح .. وميناء الحديدة في مرمى الجيش»[74].	«كشف قائد قوات الاحتياط في الجيش اليمني اللواء سمير الحاج أمس (الأربعاء)، سقوط أكثر من 200 متمرد حوثي في معارك اليومين الماضيين في الساحل الغربي وتعز، بينهم قادة ميدانيون...»
6	«مكوّنات الحراك اليمني الجنوبي تعود إلى الاصطفاف والحكومة تتحرك لرأب الصدع»[75].	«بدت الذكرى الـ11 للتصالح والتسامح بين فصائل العمل السياسي ومكوناته في جنوب اليمن، والتي احتفل بها في عدن متواضعة هذا العام من حيث الفاعلية الاحتفالية وحجم الحضور الذي لم يتجاوز عدده المئات من أبناء المحافظات الجنوبية، ما يعكس حجم التباينات والخلافات بين مختلف الفصائل، ويحول دون تحقيق الغاية من هذه الفاعلية وهي استقلال الجنوب...».

لوحظ في ممارسات الصحف السعودية السياسية عامة انتهاج أساليب حملية بعبارات وصفية تكررت منذ انطلاق الحملة بل واتخذته طريقةً تسير عليه، منها عبارة (تحالف دعم الشرعية) في اليمن، والاعتماد على الاقتباسات المباشرة والكلام المنقول من مصادر تراها الصحف أنه من الممكن أن يدعم أقوالها.

ولوحظ أيضًا في النص (1)، (2)، (3)، (4) تكثيف الأساليب الإحالية والتسميات كـ (المخلوع) و (الرئيس عبد ربه)، رغم أن إطلاق تسمية الرئيس لـ (عبد ربه) في الوقت الذي لم يتولَّ الرئاسة فيه بعد. وعليه يمكن ملاحظة أن الممارسات السعودية تتخير ألفاظها بدقة؛ لدعم دفة عملية السلام وإنهاء الحرب بتطبيع الكلمات المختارة في الأذهان بإسقاط وصف (المخلوع) على رئاسة علي عبد الله، وإسقاطه من كرسي رئاسة اليمن.

بل لم تأت بذكر صالح للإشارة في بداية انطلاق العملية العسكرية الأولى كان التوجه لإحلال عبارة (دعم الشرعية) ومترادفاتها (الانقلاب الحوثي، الدعم الإيراني ...) وغيرها كان هو الهدف الأول، ويمكن أن تعبر الاستراتيجية الإحالية –هنا- إلى أن حكم الرئيس السابق منفلت وأن السيطرة للجانب الخارجي الحوثي، ولم يتبين منذ انطلاق العملية وروده بل كان تاليًا مع إيراد الحمل على تسمية (المخلوع)؛ بل هي محاولة لتطبيع هذا التصور وتوجيهها إلى المتلقي من خلال معالجتها لغويًا متواكبة مع الحملة العسكرية منذ أنْ بدأت.

(72) صحيفة عكاظ. (2015 مارس 27). شكري: سنشارك بقوات برية.

(73) صحيفة المدينة. (2017 مايو 23). التحالف يدين محاولة اغتيال مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن.

(74) صحيفة عكاظ. (2018 فبراير 8). الحوثي يترنح .. وميناء الحديدة في مرمى الجيش.

(75) صحيفة الحياة. (2017 يناير 24). مكوّنات الحراك اليمني الجنوبي تعود إلى الاصطفاف والحكومة تتحرك لرأب الصدع.

وعند تتبع الأساليب الصحفية في صياغتها للنصوص منذ بدء الحرب حتى الآن يرى فيما بعد كيف تتجه طرق التسمية لتدعم وتسوغ الحرب في أذهان اليمنيين، لذا جاءت صيغ الخبر بمبالغة الوصف وتوجيه التهم المباشرة؛ لجعل المتلقي يتفاعل معه ويتبنى موقف الصحف من الأحداث للتسليم به.

وقد ذُكر سابقًا في مبحث الأسلوب أنه يغلب في بعض الصحف السعودية وخاصة صحيفة (عكاظ) في صياغة عناوينها الجانب الهزلي الدرامي، كما في عنوان رقم (5) عندما وصفت الحوثي وهو في حالة فشله بالترنح، وهذا يعد حربًا أيديولوجية سياسية تنتهجها الصحافة لكيل الهزائم في نفس العدو المقابل.

وبشكل خاص قد تدعم بعض الصحف توجهات كتابها السياسية كما نجده في تقرير نُشر لصحيفة "الحياة" السعودية في النص (6) جاء هذا التقرير بالتزامن مع الانتصارات التي يحققها أنصار الحراك والمقاومة في الجبهات الجنوبية، حيث جاء العنوان وكذا صياغة مضمون الخبر الادعاء بأن الحراك الجنوبي لا يملك زمام أمره وتقسم تبعيته إلى أربع جهات هم في الأساس أعداؤه الألدة (عفاش والحوثي، وإيران، والإخوان)! والسبب؟

قد تعتمد بعض الصحف على مراسلين يخضعون لولاءات سياسية لأحزاب تخدم موضوعات إيديولوجية، وهذا بلا شك يوقعها في أخطاء مهنية تدني من مستوى الصحيفة. ويمكن ملاحظة ذلك عند الربط بين (الحراك الجنوبي) بالدول الإقليمية يقف خلفها جماعة الإخوان المسلمين. وغير ذلك نجد في لفظة (مكونات) تكررت في سياقات عدة، في سياق التقرير لصياغة الصحفي نفسه، مرة أتى بها مقتبسة ومرة من صياغة الصحفي المباشرة (تعليق)؛ لننظر في الآتي:

نصوص مقتبسة: «ويرى أبناء الجنوب أن هذه الحادثة "نكأت الجراح.... وكشفت أن هذا التقسيم يسحب ذاته بقوة إلى مكونات وهياكل السلطتين المحلية والسياسية التي تتشكل اليوم في عدن». ويرى العولقي أنه ومن خلال كثرة المكونات والكتائب استطاعت قوى خارجة على القانون....

نصوص مباشرة (تعليقات): وتتهم غالبية مكونات الحراك الجنوبي وفصائله المتعددة، الرئيس اليمني السابق علي صالح وأركان نظامه....

بدت الذكرى الـ11 للتصالح والتسامح بين فصائل العمل السياسي ومكوناته في جنوب اليمن....

وهذا دليل على أن إنتاج النص يرجع إلى ذات الكاتب نفسه، مما يشير إلى دعم الولاء والتوجه السياسي لكاتب النص.

3-3 الممارسات الإيديولوجية (الفكرية) وخطاب الصحف:

تعدّ الممارسات الإيديولوجية امتدادًا للممارسات الاجتماعية، بل هي ليست إلا أنساقًا معنوية كامنة في الممارسات الاجتماعية ككل، ويرى ريتشاردسون أن الممارسات الإيديولوجية تبرَّر وتلطف (في التحليل النهائي) وتطبع التناقضات واستغلال المجتمعات الرأسمالية، (أو المجتمعات العربية وغيرها..). وتعمل الممارسات الإيديولوجية من خلال الإشارات – أي من خلال دوران الأفكار، وتمثيلات وتصويرات الواقع الاجتماعي[76].

وبالنظر من الناحية الفكرية الإيديولوجية تشهد المملكة حاليًا ما يمكن وصفه بالصراع الثقافي، أحد محركاته الرئيسة توطين مؤسسات المجتمع المدني وفقاً للنموذج الغربي، وهو صراع امتد حتى داخل مجلس الشورى، ما بين معارض ومؤيد، ومستند على ثقافة تقليدية وبين متكئ على ضرورة الأخذ بآليات معاصرة، خلال مناقشة مسودة نظام "جمعيات المجتمع المدني " التي أعدتها جهات حكومية، وتمت صياغتها بما يكفل للجهات الحكومية

(76) Richardson, J. E. (2006), P 134.

التدخل في الفضاء المدني لتلك الجمعيات واستلابها شروط استقلاليتها وحقها في ممارسة الشفافية وحرية الحركة والمبادرة[77]. وهذا الجدل جزء من مناخ صراع فكري أوسع نطاقًا يشهده المجتمع السعودي منذ ما يقرب من ثلاثة عقود مضت إذ كان المجتمع على مدى تلك الفترة تتنازعه فئتان: تيار محافظ يرى ضرورة المحافظة على قيم المجتمع من التغيير والمحافظة على الهوية والخصوصية انطلاقًا من خلال تفسيره وتصوره للقيم والمبادئ الدينية وفرض رؤيته ورفض كل ما يختلف معها[78]، والفئة الأخرى؛ تسعى إلى التحديث، وركزت جل جهودها في بعض القضايا الاجتماعية فقط عبر آليات ووسائل إعلامية وثقافية انتهجتها، وطيلة هذه المرحلة كان التصارع الفكري والتصادم بين الفئتين، رغم تفاوت حدته، وفي ظل تغييب واضح للمجتمع في تحديد خياراته، سمة بارزة حول الكثير من القضايا، خصوصًا تلك المتعلقة بالمرأة ونحوها، فكان افتعال المعارك من بعض القضايا الهامشية، كالاختلاط والرياضة النسائية وغيرهما وتحويلها لمعارك مصيرية! ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى تغييب المجتمع طيلة تلك المرحلة واستمرار افتعال المعارك من وقت لآخر بصورة متقاربة وبسيناريوات متكررة هو افتقاره إلى العمل المؤسسي المتمثل في غياب عمل مؤسسات المجتمع المدني المعنية بتبصيره بحقوقه والدفاع عنها، التي تلعب دورًا كبيرًا في إسهام المواطن ومشاركته في إدارة المجتمع وتطويره الحضاري والتنموي من خلال تلك المؤسسات، وكذلك غياب مراكز الدراسات البحثية والاستراتيجية المستقلة والمعنية بدرس الظواهر المحلية للوصول إلى نتائج ملموسة وواضحة، وضعف التعليم القادر على بناء المجتمع وصناعة الإنسان الفاعل، وغيرها من الأسباب التي كان لها دور وأثر واضحان في استمرار مثل ذلك الجدل والصراع واستغلاله[79].

لكن الطارئ الحادث أن تلك المعارك لم تعد تحظى لدى المجتمع بالأهمية نفسها، فالمجتمع في ظل المتغيرات الكثيرة من حوله لم يعد مجرد متلقٍ من فئة تفرض عليه خياراته وأولوياته وتفكر بالنيابة عنه؛ وذلك ناتج من تطوُّر وتحسُّن تدريجي ملاحظ في الوعي المجتمعي لقضاياه الرئيسة، والتفاته لمتطلباته وحاجاته ورغبته في حسم خياراته ورغباته واتساع في دائرة الأفق لديه، فكثير مما كان مرفوضًا من الأمور والأفعال أصبح واقعًا بفضل الحسم والإقرار والاختيار الشعبي له، لم يعد هو ذاك المجتمع الذي ينساق باختلاف مستوياته وفئاته وبكل تسليم، بل أصبح أكثر قدرة وتأهيلًا في النظر والتأمل بمتطلباته، وبات هو من يدفع ويطالب بحقوقه بصورة تدعو إلى التفاؤل، فالمجتمع على سبيل المثال حينما يتحرك من أجل مكافحة الفساد ، ويطالب بالقضاء عليه، وإبعاد المفسدين من عدد من المواقع، وتوفير وتهيئة أفضل السبل للعيش وللحياة، وهو ما شهدنا تكراره في أكثر من مكان، لم يكن المحرك والدافع له رأي من هنا أو هناك، وربما لم تكن تلك مثل هذه القضايا التي تمس حياة كل مواطن محط اهتمام وتركيز من كثير من أولئك المنشغلين بتلك القضايا الجدلية[80]. لكن في ظل المتغيرات الحاصلة في المجتمع الناتجة عن تحسُّن في الوعي المجتمعي بقيت الكثير من الأنظمة المعمولة بها في المملكة تحتاج إلى تفعيل دورها في ظل اتجاه الدولة نحو التنمية الشاملة، وخصوصًا فيما يتعلق بالتفرقة النوعية بين الرجل والمرأة، وغير ذلك من أنواع عديدة نراها في ممارسات الصحف الإيديولوجية ممثلة علاقتها بين الحاكم والمحكوم وبين ولاة الأمر والمواطنين أو الزوج والزوجة أو الأب والابن، الابنة وبين منطقة وأخرى أو بين القبائل أو المذاهب... وغيرها.

ومثل تلك الصور الإيديولوجية التي وضعتها معظم الصحافة السعودية في صياغة النصوص أو في نقلها - وبالتأكيد إلى جانبها وسائل الإعلام العربي عمومًا- قد كرَّست الصورة السلبية للمجتمع السعودي وخصوصًا فيما

(77) الشيخ، ممدوح. (2015). المجتمع المدني السعودي.. التحديات والمستقبل. مركز صناعة الفكر للدراسات والبحوث. بيروت، ص14.

(78) السابق، ص14.

(79) السابق، ص14، 15.

(80) السابق، ص15.

يتعلق بقضايا المرأة السعودية، وباتت الصحف الغربية انتهازية في نقل تلك الصور عنها، حتى صورت لنا صحفنا وأحاطت بقضاياها بالهالات التي لم تكن، بالأعراف التقليدية التي سلبتها والأنظمة التي لم تحدُّث، بل ما تمارسه تلك الصحف أمام التعامل مع قضايا المجتمع بات اتجاهًا إيديولوجيًّا يفرض نفسه، حتى أصبح الإعلام الغربي يخلط عند تناوله لقضايا المرأة السعودية، حيث يلصق عدم حصولها على حقوقها المشروعة كحق التنقل أو السفر أو التعليم والعمل من دون وصاية ذكورية بأن الدين الإسلامي هو سبب التمييز ضد المرأة، وبعض الإعلام يمكنه أن يصف السلوكيات المرفوضة في ثقافته بأنها نتاج الدين الإسلامي. فمن صور تلك الممارسات الإيديولوجية الصحفية التي تومئ بالتمييز النوعي في مسألة ولاية المرأة وأهليتها، في النص الآتي:

«أمانة مواطن تعيد مليوني ريال أودعت بالخطأ في حساب زوجته»[81].

يفترض في هذا العنوان وفي داخل النص أن يصاغ على أن إيداع مبلغ في حساب الزوجة الشخصي تتطلب أمانتها أن تكون (هي) من يعيده، وقد نتساءل: لماذا لم يصغ الخبر على أمانة مواطنة؟ لم يكن تعامل الصحيفة مع الأنظمة والتعامل مع المرأة بصفتها كاملة الأهلية وفق ثوابت الدين، بل كان وفق ضغوط الأعراف. ولذا، فإن الصحيفة دعمت تلك القيمة الاجتماعية والعرف الاجتماعي المتمثِّل في كون الزوج أو الرجل ينبغي أن تكون ولايته مطلقة حتى لو تطلَّب ذلك الولاية عن أمانتها!

ومن مظاهر التمييز النوعي كثيرًا ما تتردد في ممارسات الصحف، في مسألة ولاية المرأة، وهنا نص يوضح ذلك:

«القبض على الفتاة المتجولة في القرية التراثية بأشيقر»[82].

النص: *«أوضح الناطق الإعلامي بشرطة الرياض أن الأجهزة المختصة بشرطة المنطقة رصدت عدة مقاطع فيديو متداولة عبر برامج التواصل الاجتماعي تضمنت ظهور امرأة تتجول في القرية التراثية بمركز أشيقر التابع لمحافظة شقراء بملابس غير محتشمة، وبناءً عليه ووفقاً لنظام مكافحة الجرائم المعلوماتية تم تحديد هويتها. وأشار إلى أنه بسماع أقوالها أقرت بقيامها بزيارة الموقع المنوه عنه برفقة محرمها..»*.

يمكن أن يأتي التناقض العجيب في النص من خلال عبارتي (ملابس غير محتشمة) و (برفقة محرمها) ونستدل على تبرير الصحف على هذا الأمر المخالف للدين والعرف المجتمعي بكلمة (أقرَّت) استنادًا على وجود الفكر القائم حول وصاية المرأة بما لدى المجتمع (برفقة محرمها) حتى لو تطلَّب ذلك الأمر كسر القيم والأخلاق المجتمعية والغض عن الأفعال الأخرى (ملابس غير محتشمة).

وهذا من أمثلة كثيرة متعددة تقوم الممارسات الإيديولوجية بتطبيع أشكال من عدم المساواة النوعية أو الطبقية وحتى القبلية بوعي أو من غير وعي، من خلال إضفاء الطبيعة الفردية لقضايا المرأة على الاختلال الاجتماعي التي تراها –الممارسات الصحفية- أنها مظلومة في ظل المجتمع الذكوري غير العادل من خلال إلقاء اللوم عليه–كما في أمثلة المناشدات- أو إبراز السمات غير المقبولة في النظر إليها بنظرة دونية أو معاملتها معاملة القصر أو تبرير أفعالها استنادًا على القيم المجتمعية والأعراف كما في الأمثلة الأخيرة. وقد لا يتمثَّل أحد تلك السمات غير المقبولة في التمييز النوعي فقط، قد يتمّ الانتقال به من علاقات النوع (الرجل والمرأة) إلى العلاقات القبلية والعشائرية؛ أي تمييز قبلي ومناطقي أو حتى طائفي في بعض الأحيان.

(81) صحيفة الجزيرة. (2016 ديسمبر 14). أمانة مواطن تعيد مليوني ريال أودعت بالخطأ في حساب زوجته.

(82) صحيفة الوطن. (2017 أبريل 15). القبض على الفتاة المتجولة في القرية التراثية بأشيقر.

بالإضافة، تسعى الصحف إلى انتهاز قرارات التقشف في المجتمع وتقوم بالتنقيب والبحث عن مظاهر البذخ وتسليط الضوء عليه بصياغة أخبار مثيرة تستجلب بها أذهان القراء ووعيهم، كما نرى في الصياغة الآتية:

«صورة قبيحة لـ «الهياط».. «وليمة» بالأرز واللحم والمال!» (83).

وبهذا؛ تنظر الممارسات الاجتماعية للخطاب الصحفي كما انطلق منها ريتشاردسون في دراسته، بتحليل العلاقات بين الصحافة والعالم الاجتماعي الكبير من حيث الممارسات الاقتصادية، والسياسية والإيديولوجية. وفي هذا الصدد، نادى بتبني المدخل المادي إلى تحليل الخطاب النقدي بديلًا عن المثالية الحديثة. ويعني بالمادية؛ تلك النظرة الإثنولوجية إلى الفاعلين التاريخيين الحقيقيين، ومصالحهم، وتحالفاتهم، وممارساتهم، والبيئات التي أتوا منها، وعلاقة ذلك بالخطابات التي ينتجونها، والجماعات (أو الطبقات) الاجتماعية التي من أجلها يتمّ إنتاج تلك الخطابات (بلوميرت 1999: 7).

الخاتمة.

أسفرت الدراسة عن عدة نتائج، وهي على التوالي:

اتضح في التحليل النصي للصحف السعودية كيف يختار الصحفيون والكتَّاب تصنيفًا اجتماعيًا للحديث عن الناس، واختيارهم لبديل دون غيره يجعلهم يدرجون الناس في تصنيف ويقصونهم من تصنيفات أخرى مغايرة، وخاصة في النماذج التي تبينت فيه مدى عمق النظرة لدى المجتمع تجاه المرأة بطريقتها الإحالية، وفي كثير من قضاياها المشابهة التي تبني صورة ذهنية سلبية عن وضع المرأة في مجتمعاتنا.

وقد تحققت الاستراتيجيات الحمليّة بواسطة استعمال النعوت والصفات وأشباه جمل، وجمل الصلات إلى جانب دور الضمائر الحملية في نقل المعنى الأيديولوجي للمتلقي. وتظهر أهمية دراسة الأفعال المستعملة عندما تقوم الصحف بتبنيها في النصوص، وتتبيَّن أهميتها عندما تظهر لنا الجانب الآخر للصياغة في صحيفة أخرى تنقل الحدث نفسه في تفسير التقارير وإعدادها، وهي بذلك تُظهر للقارئ الوجوه الأيديولوجية التي تتبناها كل صحيفة ومرامها المقصودة منه.

أما الممارسات الخطابية للصحف السعودية ركزت الدراسة على كيف تستعمل الصحف الممارسات والأساليب المتاحة من النصوص لاستعمال النصوص وتفسيرها، واقتصرت الدراسة على الأساليب اللغوية والتناصية. ففي الأسلوب اللغوي سوغت الصحف التنوعات في البنيات المعجمية والنحوية في النصوص لأجل مصالحها كإضفاء الجوانب البلاغية والكلمات المثارة خصوصًا على العناوين الخبرية، والتهوين من بعض القيم المجتمعية عند صياغة الأخبار والتقارير وقد تميل بعضها إلى المباشرة في أثناء الطرح والتناول معتمدة على النقولات لإضفاء مزيد من المصداقية والأمانة لدى جمهورها. وتعددت طرق التناص الصحفي السعودي حيث يخضع وجود جميع النصوص في علاقة بعضها في بعض، بشبكات النصوص الأخرى وبالسياق الاجتماعي، حيث قامت الصحف في نماذج عدة بدمج النصوص السابقة، وإعادة صياغتها، وتفسيرها وإعادة قراءتها.

في الممارسات الاجتماعية تتحدد وفق ثلاث، أظهرت علاقة بعضها في بعض في أثناء دراسة نصوصها. ففي الممارسات الاقتصادية تتقاطع موضوع المناشدات مع ممارستين الاقتصادية والأيديولوجية، منها تتلقى الصحف موضوعاتها من المعلنين ممن لهم قضايا اجتماعية، وفي الوقت ذاته تتخذ مسارًا تتحدد فيه الوجه الأيديولوجية

(83) صحيفة عكاظ. (2017 أكتوبر 9). صورة قبيحة لـ «الهياط».. «وليمة» بالأرز واللحم والمال.

للصحيفة. فهي بقدر ما تسعى في الوقت نفسه إلى تفعيل ممارساتها الإيديولوجية بشكل غير واعٍ. أما الممارسات الإيديولوجية تعد حلقة الوصل الأكبر من بين تلك الممارسات، تميل فيها الحملات الصحفية أن تكون ذات صبغة أيديولوجية أكثر من كونها ممارسات اقتصادية كما في دراسة ريتشاردسون. وفي الممارسات السياسية اقتصرت الممارسات على فترة من فترات مواكبة الصحف للحملة العسكرية للبلاد، فتجلَّت في أثنائها استراتيجية التسمية والحملية بشكل كثيف، ولها موضوعات خاصة بها لا تمت صلة بالممارسات الاجتماعية الأخرى ما عدا موضوعات أيديولوجية سياسية، فهي خاصة بشأن الدولة تستقي موضوعاتها من الأجهزة العليا، تروم به إلى توجهها للمتلقي الخارجي.

ويمكن أن نقرب هذا بتمثيل ممارسات الصحف السعودية في تداخل الممارسات الإيديولوجية بين الممارسات الاقتصادية والسياسية في تناول الموضوعات التي تناولناها في دراستنا للأمثلة السابقة، على الشكل (1) الآتي:

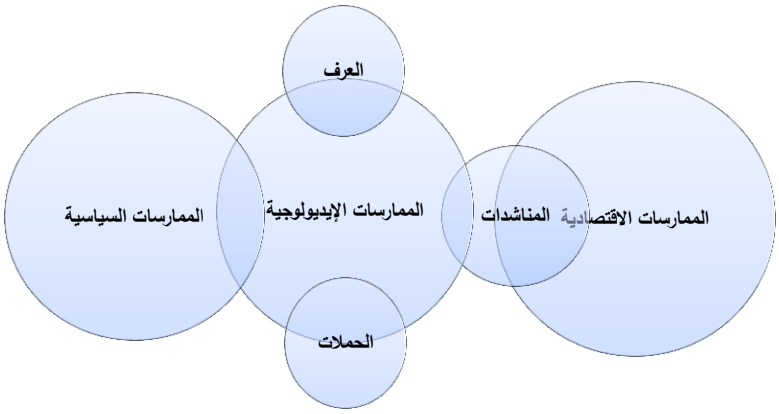

شكل (1) الممارسات الخطابية للصحف السعودية.

المراجع

المراجع العربية:

- أيه، روو؛ وليم. (د.ت). الصحافة العربية (الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي)، ترجمة: موسى الكيلاني. مركز الكتب الأردني. الأردن.
- جمعان الزهراني، أحمد. (2013). التعرض للصحافة السعودية اليومية وعلاقته بترتب أولويات القضايا السياسية لدى الجمهور السعودي، دراسة تحليلية وميدانية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة. كلية الإعلام. قسم الصحافة.
- العوفي. دبيان. (2012). حملات التوعية الإعلامية، الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية. دار جامعة الملك سعود. الرياض.
- الدخيل، فواز. (1998). (الحملات الإعلامية ودورها في التوعية). مجلة الأمن والحياة. مج 18، ع 200.

- شويل القرني، علي. "إشراف". (2011). السمات التحريرية للصحافة السعودية، دراسة مسحية على عينة من الصحف السعودية. كرسي الجزيرة للصحافة. جامعة الملك سعود. الرياض.
- الشيخ، ممدوح. المجتمع المدني السعودي.. التحديات والمستقبل (بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات والبحوث، 2015).
- صالح، سليمان. (2003). حقوق الصحفيين في الوطن العربي. ط1. دار النشر للجامعات. مصر.
- عبيدي، منية. (2016). التحليل النقدي للخطاب: نماذج من الخطاب الإعلامي. ط1. كنوز المعرفة. عمَّان.
- العمير، عثمان (رئيس تحرير صحيفة إيلاف الإلكترونية). مقدمة كتاب: أسلوب صحيفة إيلاف الإلكترونية: http://bit.ly/1PjZ6ez
- فوداك، ر. ماير، م. (2014). مناهج التحليل النقدي للخطاب. ت: حسام فرج، عزة محمد. المركز القومي للترجمة. القاهرة.
- فيركلوف، نورمان. (2009). تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي. ترجمة: طلال وهبة. المنظمة العربية للترجمة. بيروت.
- كتاب: أسلوب صحيفة الحياة: http://bit.ly/1Uh8nzU
- مجموعة من محرري كتاب: أسلوب صحيفة الشرق الأوسط. ط1. الشركة السعودية البريطانية للتسويق. لندن. 2013 مارس: http://bit.ly/25ymXLv

المراجع الأجنبية:

- Blommaert, Jan. (2005). Discourse. Cambridge University Press.
- Fairclough, N. (1995). Media discourse .Hardcover Arnold.
- Mills, Sara. (1995). Feminist Stylistics. Routledge. Chapman and Hall, Incorporated.
- Reisigl, M., & Wodak, R. (2001). Discourse and discrimination: Rhetorics of racism and antisemitism. Routledge.
- Richardson, J. E. (2006). Analysing newspapers: An approach from critical discourse analysis. Palgrave Macmillan.
- Van Dijk, Teun A. (1988). News as discourse. Routledge.